



الإمارات العربية المتحدة
وزارة التربية والتعليم



عام التسامح

2019-2020

اللغة العربية

كتاب النصوص



الصف
09

عزيزي الطالب،

إنّ القراءة، وقراءة الأدب على وجه الخصوص، تساعد المرء على أن يكون أكثر فهمًا للحياة والناس، وأوسع أفقًا، وإنّ هذا النوع من القراءة هو الذي يجعل الإنسان أكثر تواضعًا وتسامحًا وذكاءً. إنّ كلّ قصة أو رواية تقرأها هي بمثابة بوابة تُفتح لك لتُبصّر الحياة بتفاصيلها الصغيرة، تلك التي قد لا ننتبه لها ونحن نمارس واجباتنا اليومية، ونغدو ونروح مع الغادين والرائحين. إنّ هذه البوابة هي التي تجعلك تستقرّ في قلوب الكثيرين من الناس، أولئك الذين تُكتب عنهم القصص، وتحكي حكاياتهم الروايات، فتعرف ما لم تكن تعرف، وتدرّك ما لم يكن خطر لك على بال.

عزيزي الطالب،

إنّ قراءة الأدب تشبه الدخول في مرآة سحرية كبيرة، تكشف لك وجوها لا نهاية لها للحياة، لفعل الزمان في الإنسان، وللإنسان في ضعفه وقوّته، في صدقه وكذبه، في عزّه وذله، في أنانيّته وظلمه، في رفته وقسوته في أحزانه وأفراحه، وآلامه وأحلامه. وكلما انفتح كتاب بين يديّ قارئ في مكان ما، في زمان ما، استطالت مرآة سحرية أمامه ليرى ما لم يكن يرى، ويكشف ما كان سيبقى محجوبًا للأبد لولا لحظة تبصّر قادته إلى أن يُمسك بين يديه قصة أو رواية ستجعله بعد أن يقلّب الصفّحة الأخيرة فيها يزداد يقينًا أنّ الخلود لا يكون إلا للخير والحق والجمال.

نرجو لك رحلة ممتعة ومفيدة مع اللغة العربية.



الفهرس

- 9 * القرآن الكريم والحديث الشريف
- 11 « القرآن الكريم »
- 13 « أحاديث شريفة »
- 15 * النصوص الأدبية
- 17 - الشعر
- 19 « الشعر الجاهلي »
- 21 « غَدُوْتُكَ مولودًا - أمية بن أبي الصلت »
- 22 « وصية أب - عبدة بن الطبيب »
- 23 « الشعر في عصر صدر الإسلام والعصر الأموي »
- 27 « قال المُقنَّع الكندي »
- 28 « قال الصِّلَتان العبدي »
- 29 « قال يزيد بن الحكم الثقفي يعظُ ابنه بذرًا »
- 31 « الشعر في العصر العباسي »
- 33 « قال أبو الطَّيِّب المُتَنَبِّي »
- 34 « قال أبو فراس الحمداني »
- 35 « الشعر العربي الحديث »
- 39 « لن أبكي - للشاعرة فدوى طوقان »
- 41 « خواطر الغروب - للشاعر إبراهيم ناجي »
- 42 « قال محمود سامي البارودي »

ملاحظة:

النصوص المعالجة في كتاب (التطبيقات اللغوية) تجد عناوينها مظللة باللون الرمادي.

- 43..... « الحركة الشعرية في دولة الإمارات العربية المتحدة »
- 45..... ♦ ذكرى جدتي - جمال بن حويرب
- 46..... ♦ قال كريم معنوق
- 47..... - القصّة القصيرة
- 49..... « القصّة القصيرة »
- 53..... ♦ الدّرس الأخير - (ألفونسو دوديه)
- 61..... ♦ المناورة - مُحَمَّد مُسْتَجَاب
- 65..... ♦ مُقْتَسِ المَدَارِس - (م. آثار طاهر)
- 75..... ♦ العباءة - عائشة خلف الكعبي
- 79..... ♦ قِصَّة العَمِّ خَشِيَّة - مريم الساعدي
- 83..... ♦ الحَصَالَة - د. أحمد زياد محبك
- 87..... ♦ جدار - شريف الجهني
- 89..... ♦ النّائبات.. حين تُوَاخِي - للكاتب الأمريكي: (أو. هنري / O. Henry)
- 95..... ♦ يومٌ من التّرقّب - للكاتب الأمريكي: (إرنست همنجواي)
- 99..... - أدب السّير والرحلات
- 101..... « السّيرة الأدبيّة »
- 103..... ♦ تَعَلَّمْتُ مِنْ أَوَاقَاتِ الْفَرَاغ - عبّاس محمود العقّاد
- 107..... ♦ رحلة ابن بطّوطة إلى الصّين
- 109..... ♦ تجاربي مع الحقيقة - (المهاثما غاندي)
- 111..... ♦ رحلة إلى شمال إفريقيا - القنطرة - (أندريه جيد)

113.....* نصوصُ الرَّأي

115.....- المَقالاتُ

117.....« المقالةُ

119.....♦ إشاراتٌ يُرسلها الشُّهداءُ - الدكتورة فاطمة الصايغ

123.....♦ 2016 التَّعليمُ ثُمَّ التَّعليمُ - د. خالد الخاجة

127.....♦ في حياةِ طفلةٍ - جميلة البشري

131.....♦ اتركْ بصمةَ إنجازك - شيخهُ المسكري

135.....- الأعمدةُ الصَّحفيَّةُ

137.....« العمودُ الصَّحفيُّ

139.....♦ العربُ تسبَّبوا في غيابِ شمسِهِم! - فاطمة المزروعى

141.....♦ السَّعادةُ لا تضلُّ طريقها - ناصر الظَّاهري

143.....♦ رسالةُ ساميةٍ - مريم مسعود الشَّحي

145.....* النِّصوصُ المَعْلوماتيَّةُ

147.....« النِّصوصُ المَعْلوماتيَّةُ

149.....♦ رؤيةٌ مُستقبليَّةٌ لِلقطاعِ السِّياحيِّ - جريدة الاتحاد

153.....♦ قِطارُ المُستقبلِ من أبوظبي إلى لندن - د. إبراهيم الدرْمكي

157.....♦ مَمْلَكَةُ الفِطرياتِ

161.....♦ تنميةُ التَّفكيرِ - محمد محمود العلي

165.....♦ تطويرُ الذاتِ - محمد بن علي شيبان العامري

الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ وَالْحَدِيثُ الشَّرِيفُ

القرآن الكريم

قال الله تعالى:

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌ حَمِيدٌ ١٢﴾ وَلِذَٰلِكَ لَقُمْنُ لِابْنَيْهِ، وَهُوَ يُعْطِيهِ، يَبْتَغِي لَكَ تَرْكًا بِاللَّهِ إِنَّكَ الشِّرْكُ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ١٣﴾ وَوَضِعْنَا آلَ نَسْنَ بَوَالِدَيْهِ حَمَلَتُهُ أُمُّهُ، وَهَنَّا عَلَى وَهْنٍ وَفَصَلَّهُ، فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ ١٤﴾ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىٰ نُرٍّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّتُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ١٥﴾ يَبْتَغِي إِنِّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ١٦﴾ يَبْتَغِي أَقْرِ الصَّلَاةَ وَأْمُرًا بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ ١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخَالٍ فَخُورٍ ١٨﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضِضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ١٩﴾

(سورة لقمان)



أَحَادِيثُ شَرِيفَةٍ

حديث "لا تغضب"

※ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: مُرْنِي بِأَمْرٍ، قَالَ: «لَا تَغْضَبَ»، قَالَ: فَمَرٌّ، أَوْ فَدْهَبٌ، ثُمَّ رَجَعَ، قَالَ: مُرْنِي بِأَمْرٍ، قَالَ: «لَا تَغْضَبَ»، قَالَ: فَدَدَّ مِرَارًا، كُلَّ ذَلِكَ يَرْجِعُ فَيَقُولُ: «لَا تَغْضَبَ».

※ وفي رواية: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ، فَقَالَ: مُرْنِي بِأَمْرٍ وَلَا تُكْثِرْ عَلَيَّ حَتَّى أَعْقِلَهُ، قَالَ: «لَا تَغْضَبَ»، فَأَعَادَهُ عَلَيْهِ، فَأَعَادَ عَلَيْهِ: «لَا تَغْضَبَ».

※ وفي رواية: أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَوْصِنِي، قَالَ: «لَا تَغْضَبَ»، فَدَدَّ مِرَارًا، قَالَ: «لَا تَغْضَبَ». قَالَ الرَّجُلُ فَفَكَّرْتُ حِينَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مَا قَالَ فَإِذَا الْغَضَبُ يَجْمَعُ الشَّرَّ كُلَّهُ. (أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ)

※ قَالَ ﷺ: «مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلَ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ».

※ قَالَ ﷺ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُذْرِكُ بِحُسْنِ الْخُلُقِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ وَالْقَائِمِ».

※ قَالَ ﷺ: «حُسْنُ الْخُلُقِ هُوَ طَلَاقَةُ الْوَجْهِ، وَبَذْلُ الْمَعْرُوفِ، وَكَفُّ الْأَذَى».





النصوص الأدبية

الشعر^{١٤}



الشعر الجاهلي

الشعر الجاهلي هو الشعر العربي الذي قيل قبل الإسلام، وقد تميّز العرب عن سواهم من الأمم الأخرى بصفاء القريحة وملاءمتهم بين بيتهم وخیالهم وتأملهم، فكانوا أشعر الأمم. فالبادية بيئة الشعر الجاهلي، ولذلك كان الشعر مرآة لهذه الحياة البدوية القاسية الخشنة، يصف الأطلال والديار والانتجاع والظعن والفلاة والحيوان والمعارك وآبار المياه.

لقد كان الشعر ديوان حُكم العرب وعلومهم، وسجل وقائعهم وسيرهم، ومادة حوارهم، يرتجلونه؛ ليعبروا عما يختلج في صدورهم من عواطف وهموم. والشعر الجاهلي شعر غنائي ذاتي يصور نفسية الشاعر وأحاسيسه، سواء أكان يتغزل أم يفخر أم يمدح أم يهجو أم يرثي أم يعاتب أم يعتذر أم يصف. لقد كان الشعر يُشَدُّ إنشادًا أو يُغَنَّى غناءً، فالغناء كان أساس تعلم الشعر ومن أساليب التعبير عنه.

وتظهر موسيقى الغناء في وزن القصيدة وحرف رويها (قافيتها) الموحد؛ فإن كان حرف الروي (القافية) في القصيدة (الباء) تسمى القصيدة (بائية)، وإن كان حرف الروي في القصيدة (الدال) تسمى القصيدة (دالية)، وإن كان حرف الروي في القصيدة (نونًا) تسمى القصيدة (نونية).

وقد تبوأ الشاعر الجاهلي مكانة مرموقة في عصره فكان لسان قبيلته، كما لعبت الأسواق الموسمية الكبرى دورًا مهمًا في التعريف بالشعراء ونقل أشعارهم بين القبائل الأخرى. فالأسواق لم تكن للبيع والشراء فحسب، بل كانت -أيضًا- للخطابة والشعر، ومن أهم هذه الأسواق: سوق عكاظ، وهي سوق في صحراء بين نخلة والطائف شرق مكة، وكانت تستمر عشرين يومًا، وسوق ذي المجاز قرب ينبع، وينبع تُغرُّ مدينة الرسول ﷺ، وسوق ذي المجنة قرب مكة.

ويذهب المؤرخون إلى أن النابغة الذبياني كان من المُحكِّمين، تقام له في هذه الأسواق قبة، يذهب إليها الشعراء؛ ليعرضوا شعرهم عليه، فمن أشاد به ذاع صيته وتناقلت شعره الرُّكبان. والشعر الجاهلي شعر مروي لم يُدوّن إلا في أوائل القرن الثاني للهجرة، وهذا ما يفسر

ضباع أغلبه. فالكثير من رواته ذهبت بهم حروب الفتح، وأوفر هذه القصائد حظاً من الحفظ هي المعلقات أو المذهبات، وقد عدت المعلقات من أفضل ما وصلنا من العصر الجاهلي. ويزعم أغلب المؤرخين أنها سبع قصائد اختارتها العرب فكتبتها بماء الذهب، ثم علقتها على الكعبة إعجاباً بها، وأصحابها هم: امرؤ القيس، وزهير بن أبي سلمى، وطرفة بن العبد، وليد بن ربيعة، وعنترة بن شداد، وعمرو بن كلثوم، والحارث بن حلزة.

وتتناول القصيدة الجاهلية مجموعة من الموضوعات والعواطف المختلفة في بناء ينقسم إلى ثلاثة أقسام، إذ يستهل الشاعر القسم الأول بالبكاء على الديار القديمة (الوقوف على الأطلال) التي رحل عنها، وترك فيها ذكرياته، ثم التغزل بالمحجوبة، أي التشبيب، وهو ينقسم إلى قسمين: غزل عفيف، يدور حول بث الشوق واللوعة، وغزل حسّي، يصف جمال المرأة: شعرها وعنقها وجبينها وعينها وأسنانها وطولها.. كما يصف ثيابها وزينتها وعفتها، ثم ينتقل الشاعر إلى وصف ظئفها، أي ترحالها مع قبيلتها إلى مكان آخر بحثاً عن الماء والكلاء.

والقسم الثاني هو الرحلة، يصف فيه الشاعر رحلته ووسيلة تنقله، وكل ما تقع عليه عيناه في الصحراء من حيوان وزواحف وطير، والمصاعب التي تعترضه، والفلاة التي يقطعها ليبين شجاعته وبأسه.

والقسم الثالث هو الغرض الرئيس في القصيدة، وهو إما فخر أو مدح أو رثاء أو هجاء أو عتاب أو اعتذار أو حكمة.

فالفخر فخر بالقبيلة وبالنفس، وهو من مقومات الحياة القبلية، يفخر فيه الشاعر بالنسب والشجاعة والكرم والإسراع إلى معونة الآخرين، والمدح هو ثناء على الممدوح وفضائله ومآثره، ويغلب على أهل البادية كما نرى ذلك عند امرئ القيس وزهير بن أبي سلمى، ومدح للتكسب يغلب على أهل الحضر كما نرى عند النابغة الذبياني والأعشى، والرثاء هو مديح الميت، يصف فيه الشاعر الجاهلي المرثي بجميع الصفات التي يصف بها الممدوح، والهجاء عكس المدح يوصف فيه المهجؤ وقبيلته بضعة النسب والجبن والبخل، أما الحكمة، فهي قول موجز مشهور، يتضمن معنى مسلماً به، ويعبر عن خلاصة تجارب صاحبها في الحياة.

غَدُوْتُكَ مَوْلودًا أُمِّيَّةٌ بِنَ أَبِي الصَّلْتِ

- | | | |
|---|--|--|
| 1 | غَدُوْتُكَ مَوْلودًا وَعُلْتُكَ يافِعًا | تُعَلُّ بِمَا أُذْنِي عَلَيْكَ وَتَنْهَلُ |
| 2 | إِذَا لَيْلَةٌ نَابَتْكَ بِالشُّكْرِ لَمْ أَبْثُ | لِشُّكْوَاكَ إِلَّا سَاهِرًا أَتَمَلَّمُلُ |
| 3 | كَأَنِّي أَنَا الْمَطْرُوقُ دُونَكَ بِالَّذِي | طُرِقْتَ بِهِ دُونِي وَعَيْنِي تَهْمُلُ |
| 4 | تَخَافُ الرَّدَى نَفْسِي عَلَيْكَ وَإِنَّهَا | لَتَعْلَمُ أَنَّ الْمَوْتَ حَتْمٌ مُؤَجَّلُ |
| 5 | فَلَمَّا بَلَغْتَ السَّنَّ وَالْغَايَةَ الَّتِي | إِلَيْهَا مَدَى مَا كُنْتُ فِيكَ أَوْمَلُ |
| 6 | جَعَلْتَ جَزَائِي مِنْكَ جَبْهًا وَغِلْظَةً | كَأَنَّكَ أَنْتَ الْمُنْعِمُ الْمُتَفَضِّلُ |
| 7 | فَلَيْتَكَ إِذْ لَمْ تَزَعْ حَقَّ أُبُوتِي | فَعَلْتَ كَمَا الْجَارُ الْمُجَاوِرُ يَفْعَلُ |
| 8 | وَسَمَّيْتَنِي بِاسْمِ الْمُفْنَدِ رَأْيُهُ | وَفِي رَأْيِكَ التَّفْنِيدُ لَوْ كُنْتَ تَعْقِلُ |
| 9 | تَرَاهُ مُعِدًّا لِلْخِلَافِ كَأَنَّهُ | يَرُدُّ عَلَى أَهْلِ الصَّوَابِ مُوَكَّلُ |

وَصِيَّةُ أَبِي عَبْدَةَ بْنِ الطَّبِيبِ

أَبْنِيَّ إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ وَرَأَيْتُ
فَلَّيْنِ هَلَكَتُ لَقَدْ بَنَيْتُ مَسَاعِيًا
ذَكَرْتُ إِذَا ذُكِرَ الْكِرَامُ يَزِينُكُمْ
وَمَقَامُ أَيَّامٍ لَهُنَّ فَضِيلَةٌ
وَلَهُيَّ مِنَ الْكَسْبِ الَّذِي يُغْنِيكُمْ
وَنَصِيحَةٌ فِي الصَّدْرِ صَادِرَةٌ لَكُمْ
أَوْصِيَكُمْ بِتَقَى الْإِلَهِ فَإِنَّهُ
وَبِرٌّ وَإِدْكُم وَطَاعَةٌ أَمْرِهِ
وَدَعَا الضَّعِيفَةَ لَا تَكُنْ مِنْ شَانِكُمْ
وَاعْصُوا الَّذِي يُزْجِي النَّمَائِمَ بَيْنَكُمْ
وَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ قَصْرِي^١ حُفْرَةٌ
فَبَكَى بَنَاتِي شَجَوْهُنَّ وَزَوَّجْتَنِي
إِنَّ الْحَوَادِثَ يَخْتَرِمُنَّ وَإِنَّمَا

بَصْرِي وَفِيَّ لِمُصْلِحٍ مُسْتَمْتَعٌ
تَبْقَى لَكُمْ مِنْهَا مَائِرٌ أَرْبَعُ
وَوِثَاثُ الْحَسَبِ الْمُقَدَّمِ تَنْفَعُ
عِنْدَ الْحَفِظَةِ وَالْمَجَامِعِ تَجْمَعُ
يَوْمًا إِذَا اخْتَصَرَ النَّفُوسَ^٢ الْمَطْمَعُ
مَا دُمْتُ أَبْصِرُ فِي الرِّجَالِ وَأَسْمَعُ
يُعْطِي الرِّغَائِبَ مَنْ يَشَاءُ وَيَمْنَعُ
إِنَّ الْأَبْرَّ مِنَ الْبَنِينِ الْأَطْوَعُ
إِنَّ الضَّعَائِفَ لِلْقَرَابَةِ تُوَضِعُ^٣
مُتَنَصِّحًا ذَاكَ السَّمَامِ الْمُتَنَفِّعُ
عَبْرَاءُ يَحُولُنِي إِلَيْهَا شَرْجَعُ^٤
وَالْأَقْرَبُونَ إِلَيَّ ثُمَّ تَصَدَّعُوا
عُمُرُ الْفَتَى فِي أَهْلِهِ مُسْتَوْدَعُ

١. مَقَامٌ: مَزَلَةٌ حَسَنَةٌ.

٢. اخْتَصَرَ النَّفُوسَ: سَيَّطَرَ عَلَيْهَا.

٣. تُوَضِعُ: تَسْرِي، تَعْدُو، تَنْتَشِرُ.

٤. قَصْرِي: آخِرُ أَمْرِي.

٥. الشَّرْجَعُ: التَّعْشُ.

الشعر في عصر صدر الإسلام والعصر الأموي

ظَلَّ الشعر في عهد الرسول ﷺ جاهلياً في شكله¹، فشعر طبقة المُخضرمين التي عاشت في الجاهلية، وأدركت الإسلام ككعب بن زهير، والحطيئة، ومعن بن أوس، والنابغة الجعدي استمراؤاً للمذهب الجاهلي، ولم يتأثر شعرها بالإسلام إلا في بعض موضوعاته. وبعد أن دانت قريش وسائر العرب للدين الجديد قَلَّ الهجاء المقذع والمدح المبالغ فيه والغزل الصريح والفخر بالخمرة وبالثأر؛ لأن الرسول ﷺ نهى عن الشعر الذي يثير الأحقاد والعصبيات، أو يشجّع على ارتكاب الفاحشة.

وقد انتهج الخلفاء الراشدون نهج الرسول ﷺ؛ فقد روي أن الخليفة عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- حبس الشاعر الحطيئة حين أقذع في هجائه للزبرقان بن بدر، ولما طلب منه الحطيئة العفو؛ لأن حبسه حال دون الاهتمام بأولاده، عفا عنه، وَخَلَّى سبيله على ألا يهجو أحداً من المسلمين.

وكثر رثاء الشهداء والإشادة بالإسلام ومدح الرسول الكريم ﷺ. ومن رواد هذا الفن الشاعر حسان بن ثابت الملقب بشاعر الرسول، فقد كان يمدح الرسول ﷺ ويردّ عنه هجاء المشركين، وقد كثرت في شعره التعابير الإسلامية والاقتراس من القرآن الكريم، ومن ذلك قوله:

هَجَوْتُ مُحَمَّداً فَأَجَبْتُ عَنْهُ	وعندَ اللَّهِ في ذاكَ الجزاءِ
أَتَهَجَوُهُ وَلَسْتُ لَهُ بِكُفٍ	فَشَرُّكُمْ لخيرُكُمْ الفداءِ
هَجَوْتُ مُبَارَكًا بَرًّا حَنِيفًا	أَمِينَ اللَّهِ شيمَتُهُ الوفاءِ

كما اشتهر كعب بن زهير بلاميته «بانث سعاد» التي أعلن فيها إسلامه، وطلب فيها رضا الرسول ﷺ وعفوه، والتي يقول في مطلعها:

(1) - راجع عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي: الأدب القديم من مطلع الجاهلية إلى سقوط الدولة الأموية، ط 4، (بيروت: دار العلم للملايين، 1981)
- راجع أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، ط 8 (بيروت: دار المعرفة، 2004)

بانتُ سعادُ فقلبي اليومَ مَتَبُولُ مُتَيِّمٌ إثرَها لَمَ يُفَدَ مَكْبُولُ

فعفا عنه الرسول ﷺ وأهداهُ برَدَّتُهُ، فما زالتْ في أهْلِهِ حتَّى اشتراها مُعاوِيَةُ منهم، وتوارثها الخلفاءُ الأمويُّونَ فالعباسيُّونَ حتَّى آلَتْ مَعَ الخلافةِ إلى بني عُثْمانَ.

أمَّا في العصرِ الأمويِّ فقد عادتْ بعضُ أغراضِ الشُّعْرِ التي نهى عنها الرسول ﷺ - كالنقائضِ - وهي قصيدةُ «يردُّ بها شاعرٌ على قصيدةٍ لخصمٍ له فينقُصُ معانيها عليه، يَقلِّبُ فخرَ خصمِهِ هجاءً، وينسبُ الفخرَ الصَّحيحَ إلى نفسه هوَ». وتكونُ النقيضةُ عادةً من بَحرِ قصيدةِ الخصمِ، وعلى رَويِّها، وقد ارتبطتْ هذهُ النقائضُ بالصِّراعاتِ السياسيَّةِ بينَ الأحزابِ المُتنازعةِ على الخلافةِ ومُناصريها، فكانتْ وقودَ العصبيَّاتِ، ولسانَ هذهِ الأحزابِ، يفتخرُ الشَّاعرُ فيها بنفسِهِ وبقومِهِ وبفضائلِهِم، كالكرمِ والشَّجاعةِ والوفاءِ بالعهدِ، والانتصارِ في الحروبِ التي خاضوها، والدِّفاعِ عنِ العِرضِ، ثُمَّ يَتَقَبُّ عنِ مِثَالِ خصمِهِ وقومِهِ من بُخلٍ وجُبْنٍ وفَسقٍ وبَغْيٍ وطُغيانٍ، ومن أشهرِ شعراءِ هذا الفنِّ جريرٌ، والأخطلُ، والفرزدقُ.

بالإضافةِ إلى النقائضِ، ازدهرَ الغَزَلُ في العصرِ الأمويِّ بعدَ أنْ هُذِّبَ في عصرِ صدرِ الإسلامِ الأوَّلِ، وبعدَ أنْ كانَ تشبيهاً بالديارِ، وبُكاءً على الأطلالِ، أصبحَ فناً مستقلاً بذاته، يُصوِّرُ مشاعرَ الحُبِّ التي سكَّنها المجتمعُ الجديدُ في نفوسِ الشعراءِ. فبعدَ أنْ تحضَّرتْ مَكَّةُ والمدينةُ، وغرقتا في البَذخِ والتَّرفِ نتيجةَ الفُتوحاتِ الإسلاميَّةِ، وجلبِ الرِّقيقِ الأجنبيِّ، وتعليمِهِ الغناءَ والموسيقى، رقيتِ الأذواقُ، فَلانَ الغَزَلُ، ورَقَّ.

وانقسمَ الغَزَلُ إلى: غَزَلٍ عُذْريٍّ، وغَزَلٍ صريحٍ. والغَزَلُ العُذْريُّ نِسْبَةٌ إلى رائدِهِ جميلِ بنِ مَعمرِ العُذْريِّ (مجنونِ بثينة)، وهوَ غَزَلٌ عَفِيفٌ طاهرٌ نقيٌّ، من رواة: قيسِ بنِ الملوِّحِ (مجنونِ ليلَى)، وقيسِ بنِ ذريحِ (مجنونِ لبنى)، وكُثيِّرِ عَزَّةِ (مجنونِ عَزَّة)، وذو الرِّمةِ (مجنونِ مَيَّة)، وعروةِ بنِ حزامِ (مجنونِ عفراء)، وتوبةِ بنِ الحميرِ (مجنونِ ليلَى الأخيلىة). فالشَّاعرُ العُذْريُّ يقصرُ حبهَ وشعره على معشوقةٍ واحدةٍ، يرى فيها سعادتهِ وشقاءه، لا يبغي يتغنى بها مُتَدَلِّلاً مُتَضَرِّعاً يَصوِّرُ فيها كَلْفَهُ وعَذابهُ وَحَبَّهُ الذي لا يتغيَّرُ مع مرورِ الزمنِ.

ومن رِوَادِ الغَزَلِ الصَّريحِ (الإباحيِّ الحسيِّ) عمرُ بنُ أبي ربيعة، والأحوص، والعرجي، ولا يلتزم فيه الشَّاعرُ بحبِ امرأةٍ واحدةٍ، بل يتَّبَعُ الجمالَ أينما كانَ، فيتغزلُ بأكثرِ من امرأةٍ،

ويصف مفاتها ومغامراته معها، وقد يصف مجموعة من النساء. وقد روي أن عمر بن ربيعة كان يتعرض للحواج، فيشيب بالحرائر الجميلات، ويصفهن طائفات محرمات، فزهدت الأسر في أداء الفريضة خشية منه، مما جعل الخليفة عمر بن عبد العزيز ينفيه إلى (دهلك) إحدى جزر البحر الأحمر بين بلاد اليمن والحبشة ولم يعد إلا بعد أن أقسم أن يتوب.

قال المقتنع الكندي

- | | | |
|----|---|--|
| 1 | يُعَاتِبُنِي فِي الدِّينِ قَوْمِي وَإِنَّمَا | دُّيُونِي فِي أَشْيَاءٍ تُكْسِبُهُمْ حَمْدًا |
| 2 | أَلَمْ يَرَ قَوْمِي كَيْفَ أَوْسَرُ مَرَّةً | وَأَعْسَرُ حَتَّى تَبْلُغَ الْعُسْرَةُ الْجَهْدَا |
| 3 | فَمَا زَادَنِي الْإِفْتَارُ مِنْهُمْ تَقَرُّبًا | وَلَا زَادَنِي فَضْلُ الْغِنَى مِنْهُمْ بُعْدًا |
| 4 | أَسَدُّ بِهِ مَا قَدْ أَحَلُّوا، وَصَيَّعُوا | تُغَوَّرَ حُقُوقُ مَا أَطَاقُوا لَهَا سَدًّا |
| 5 | وَإِنَّ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَ بَنِي أَبِي | وَبَيْنَ بَنِي عَمِّي لَمْ يُخْتَلَفْ جِدًّا |
| 6 | أَرَاهُمْ إِلَى نَصْرِي بِطَاءٍ وَإِنْ هُمْ | دَعَوْنِي إِلَى نَصْرِ أَتَيْتُهُمْ شَدًّا |
| 7 | فَإِنْ يَأْكُلُوا الْحَمِي وَفَرْتُ لِحُومَهُمْ | وَإِنْ يَهْدِمُوا مَجْدِي بَنَيْتُ لَهُمْ مَجْدًا |
| 8 | وَإِنْ صَيَّعُوا غَيْبِي حَفِظْتُ غُيُوبَهُمْ | وَإِنْ هُمْ هَوَّوْا غَيْبِي هَوَيْتُ لَهُمْ رُشْدًا |
| 9 | وَإِنْ زَجَرُوا طَيْرًا بِنَحْسٍ تَمُرُّ بِي | زَجَرْتُ لَهُمْ طَيْرًا تَمُرُّ بِهِمْ سَعْدًا |
| 10 | وَإِنْ قَطَّعُوا مِنِّي الْأَوَاصِرَ ضِلَّةً | وَصَلْتُ لَهُمْ مِنِّي الْمَحَبَّةَ وَالْوُدَا |
| 11 | وَلَا أَحْمِلُ الْحِقْدَ الْقَدِيمَ عَلَيْهِمْ | وَلَيْسَ كَرِيمُ الْقَوْمِ مَنْ يَحْمِلُ الْحِقْدَا |
| 12 | لَهُمْ جُلٌّ مَالِي إِنْ تَتَابَعَ لِي غِنَى | وَإِنْ قَلَّ مَالِي لَمْ أَكْلَفْهُمْ رِفْدَا |
| 13 | وَإِنِّي لَعَبْدُ الضَّيْفِ مَا دَامَ نَازِلًا | وَمَا شِمَّةٌ لِي غَيْرُهَا تُشَبِّهُ الْعَبْدَا |

قال الصّلتان العبدِيّ*

أشَابَ الصَّغِيرَ وَأَفْنَى الْكَبِيرَ كَرُّ الْغَدَاةِ وَفَرُّ الْعَشِيِّ
 إِذَا لَيْلَةٌ هَرَمَتْ يَوْمَهَا أَتَى بَعْدَ ذَلِكَ يَوْمٌ فِتْنِي¹
 نَرُوحُ وَنَغْدُو لِحَاجَاتِنَا وَحَاجَةٌ مَنْ عَاشَ لَا تَنْقُضِي
 وَيَسْلُبُهُ الْمَوْتُ أَثْوَابَهُ وَيَمْنَعُهُ الْمَوْتُ مَا يَشْتَهِي
 تَمُوتُ مَعَ الْمَرءِ حَاجَاتُهُ وَتَبْقَى لَهُ حَاجَةٌ مَا بَقِيَ
 إِذَا قُلْتَ يَوْمًا لِمَنْ قَدْ تَرَى أَزُونِي السَّرِيَّ أَرْوُكَ الْغَنِي²
 أَلَمْ تَرَ لِقْمَانَ أَوْصَى ابْنَهُ وَأَوْصِيْتُ عَمْرًا فَنِعَمَ الْوَصِي³
 بُنِيَ بَدَا خُبٌّ نَجْوَى الرِّجَالِ فَكُنْ عِنْدَ سِرِّكَ خُبَّ النَّجِيِّ⁴
 وَسِرُّكَ مَا كَانَ عِنْدَ امْرِئٍ وَسِرُّ الثَّلَاثَةِ غَيْرُ الْخَفِيِّ
 كَمَا الصَّمْتُ أَدْنَى لِبَعْضِ الرَّشَادِ فَبَعْضُ التَّكَلُّمِ أَدْنَى لِنِغْي⁵

* ديوان الحماسة 2 / 56-57

1. هربت: أضعبت.

2. السري: الشريف.

3. عمراً: ولد الشاعر. وهنا يوصيه كما أوصى من قبل لقمان الحكيم ابنه.

4. الخبء: ما يخفى. والنجوى: ما يتناجى به إثنان من الأسرار.

5. النغي: الضلال، وهو بخلاف الرشاد.

قال يزيد بن الحكم الثقفي يعظ ابنه بدرًا *

يا بَدْرُ والأمثالُ يضربُها	لِذي اللَّبِّ الحَكِيمِ ¹
دُمُ لِلخَلِيلِ بِوُدِّهِ	ما خَيْرُ وُدٍّ لا يدومُ
واغْرِفْ لِجَارِكَ حَقَّهُ	والحقُّ يعرفهُ الكريمُ
واعْلَمْ بأنَّ الضَّيفَ يو	ما سوفَ يَحْمَدُ أو يَلومُ
والنَّاسُ مُبْتَنِيانِ مح	مودُّ البنايةِ أو ذميمُ
واعْلَمْ بُنَيَّ فَإِنَّهُ	بِالعلمِ ينتفعُ العليمُ
إِنَّ الْأُمُورَ دَقِيقُهَا	مما يهيجُ له العظيمُ
والتَّبَلُّ مثلُ الدَّيْنِ تُقَدِّ	ضاهُ وقد يُلَوِّى الغريمُ ²
والبَغْيُ يَصْرَعُ أَهْلَهُ	والظُّلْمُ مرتعُهُ وخيمُ
ولقد يكونُ لك البعيد	رُأخا ويعطيكَ الحميمُ
والمرءُ يُكْرِمُ لِلْغِنَى	ويُهَانُ لِلْعَدَمِ العديمُ
قد يُقْتَرُ الحَوْلُ التَّقِيُّ	ويَكْثُرُ الحَمَقُ الْأَثِيمُ ³
يُمْلَى لِيْذَاكَ وَيُبتلى	هذا فَأَيُّهُمَا الْمَضِيمُ ⁴
والمرءُ يَخْلُ فِي الحَقْوِ	قِ وَلِلْكَلالَةِ ما يُسِيمُ ⁵

* ديوان الحماسة 2/ 46-49.

1. اللَّب: العقل.
2. التَّيْل: الثَّار. والغريم: صاحب الدين.
3. يقتَر: يَخْل، ويَقْل ماله. والحول: الكثير الحيلة. والأثيم: الكثير الإثم.
4. يَمْلَى: يمد في عمره. والمضيم: من أصابه الضرر.
5. الكلالة: من يرث ولا يكون والدًا أو ولدًا. ويسيم: يخرج السائمة للمرعى.

الشعر في العصر العباسي

يبدأ العصر العباسي بسقوط الدولة الأموية في الشام سنة 132 هـ/ 749 م، وقيام دولة بني العباس في الكوفة (العراق)، وينتهي سياسياً بسقوط بغداد في يد (هولاكو) التتري سنة 656 هـ/ 1258 م.¹

ويعد عصر الدولة العباسية عصر الإسلام الذهبي الذي بلغت فيه الدولة الإسلامية أوج ازدهارها الفكري، فنقلت العلوم الأجنبية، وتنوعت الآداب العربية وتطورت. وخلافاً للدولة الأموية التي كانت عربية خالصة متعصبة للعرب لغةً وأدباً، قاعدتها دمشق على حدود بادية العرب، اضطبغت الدولة العباسية بصبغة فارسية؛ لأن الفُرس هم الذين أيدوها، فجعلت قاعدتها بغداد أقرب الأمصار إلى بلادهم. فتأثر العرب بعادات الفرس وتقاليدهم ولغتهم، وتمازجوا معهم بالتزاوج والتناسل، وأشرك الخلفاء الموالى (المسلمين من غير العرب) في سياسة الدولة من فُرسٍ وأتراك وسريان وروم وبربر فضعفت العصبية، وتعددت الفرق، وتكاثر الجواري والغلمان، والتأنق في الطعام واللباس، والتنافس في البناء والتشييد، كل هذا كان له أثر يّين في اللغة العربية وآدابها.

وصف الشعر العباسي أنه مُؤَلَّد؛ لأن أكثر الشعراء مولّدين (من أبوين أحدهما عربي والآخر غير عربي)؛ ولأن الشعر لم يكن عربياً خالصاً في معانيه وأسلوبه، كما سُمّي شعراً مُخَدَّثاً؛ لأن الشعراء كانوا جُددًا أو متأخرين.

تأثر الشعر بالحياة الحضرية الجديدة مَبْنًى ومعنى وغرضاً ووزناً، فعلى مستوى المبنى، هُجرت الكلمات الغريبة، فأصبحت التراكيب واضحة سهلة، وكثر استخدام البديع، وترك الابتداء بذكر الأطلال إلى وصف القصور والرياض والخمور والغزل والإغراق في المدح والهجاء.

أما على مستوى المعنى، فقد تولدت المعاني الحضرية، واقتبست الأفكار الفلسفية؛ إذ أكثر

(1) - راجع أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، ط 8 (بيروت: دار المعرفة، 2004)
- راجع عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي: العصور العباسية حتى القرن الرابع هجري، ط 4 (بيروت)، دار العلم للملايين، (1981)

شعراء هذا العصر من المؤلّدين، وهذا يعلّل وفرة المعاني الجديدة في شعر بشار بن برد وأبي نواس وأبي العتاهية وابن الرومي. وكان لنقل العرب علوم اليونان وغيرهم تأثير في شعر أبي تمام والمتنبي وأبي العلاء المعري وغيرهم بما دخله من آراء علمية وأفكار فلسفية وسياسية.

أمّا أغراض الشعر فقد بقيت، واستمرت؛ فالفخر والمديح والغزل والرثاء والحكمة والوصف والزهد أغراض قديمة منذ العصر الجاهلي، إلا أن الفخر القبلي القديم تضاعف، وحلّ محله الفخر بالنفس.

كما انتشرت في المديح معاني الشجاعة والكرم وشرف الأصل، ورقّ الاعتذار، واتّسع فيه العتاب الرقيق، وكثر الزهد والحكمة، وأصبحت فنّين يعالجهما مجموعة من الشعراء في قصائد أو مُقطّعات. وأصبح الطّردُ (وصف الصيد) باباً مستقلاً بذاته، ولم يقتصر على الصيد فقط، بل تناول كل ما يتعلق بالحيوان، حتّى وصف «قتال الديك»، كما أصبح الخمر فناً مستقلاً بذاته مع ما يتبع ذلك من آداب المنادمة.

وأما على مستوى الوزن، فقد ابتدعت أوزان أخرى، كالمستطيل والممتد، وهما عكس الطويل والمديد، والموشح والزّجل، والدوبيت والموالي، ونُظمت المُقطّعات (أبيات معدودة في أغراض محدودة).

ولما انفرط عقد الخلافة، وكثرت الدويلات العربية وغير العربية، باستقلال الولاة في فارس والشام ومصر والمغرب، وجد الشعر في غير بغداد تشجيعاً، فازداد ابتكاراً وانتشاراً، فالأمراء مثل الخلفاء يُقَرِّبون الشعراء، ويعضدونهم.

وما إن انتهى القرن الخامس للهجرة حتّى ذهب جمال الشعر، وفقد تأثيره في النفوس لذهاب المعضدين له من البويهيين والسلاجقة وكثرة الفتن والصراعات، فغاب التوليد والإبداع، وكثر تقليد معاني الأقدمين واستخدام المحسنات البديعية والمبالغة في المدح للتكسب استدراراً للأكف.

قال أبو الطيب المتنبي

وَعَنَاهُمْ مِنْ شَأْنِهِ مَا عَنَانَا	صَحِبَ النَّاسُ قَبْلَنَا ذَا الزَّمانَا
هُ، وَإِنْ سَرَّ بَعْضُهُمْ أَحْيَانَا	وَتَوَلَّوْا بِغُصَّةٍ كُلُّهُمْ مِنْ
هُ، وَلَكِنْ تُكَدِّرُ الْإِحْسَانَا	رُبَّمَا تُحْسِنُ الصَّنِيعَ لِيَالِي
هُرِّحَتِي أَعَانَهُ مَنْ أَعَانَا	وَكَاثَنَا لَمْ تَرُضْ فِينَا بِرَيْبِ الدَّ
رَكَّبَ الْمَرْءُ فِي الْقَنَاءِ سِنَانَا	كُلَّمَا أَتَيْتَ الزَّمانُ قَنَاءَ
تَتَعَادَى فِيهِ وَأَنْ تَتَفَانِي	وَمُرَادُ النَّفُوسِ أَصْغَرُ مِنْ أَنْ
كَالِحَاتٍ، وَلَا يُلَاقِي الْهَوَانَا	غَيْرَ أَنْ الْفَتَى يُلَاقِي الْمَنَا
لَعَدَدْنَا أَضَلَّانَا الشُّجْعَانَا	وَلَوْ أَنَّ الْحَيَاةَ تَبْقَى لِحَيٍّ
فَمِنْ الْعَجْزِ أَنْ تَكُونَ جَبَانَا	وَإِذَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمَوْتِ بُدُّ
نَفْسٍ سَهْلٌ فِيهَا إِذَا هُوَ كَانَا	كُلُّ مَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الصَّعْبِ فِي الْأَدُّ

قال أبو فراس الحمداني

أوصيك بالحزن، لا أوصيك بالجلد
 إنني أجلك أن تكفى بتعزية
 هي الرزية إن ضنت بما ملكك
 بي مثل ما بك من حزن ومن جزع
 لم ينتفضني بعدي عنك من حزن
 لأشركك في اللاواء إن طرقت
 أبكي بدمع له من حسرتي مدد
 ولا أسوِّغ نفسي فرحة أبدا
 وأمنع النوم عيني أن يلم بها
 يا مفردا بات يبكي لا معين له
 هذا الأسير المبقى لا فداء له

جل المصاب عن التعنيف والفند
 عن خير مفتقد، يا خير مفتقد
 منها الجفون فما تسخو على أحد
 وقد لجأت إلى صبر، فلم أجد
 هي المواساة في قرب وفي بعد
 كما شركتك في النعماء والرغد
 وأستريح إلى صبر بلا مدد
 وقد عرفت الذي تلقاه من كمد
 علما بأنك موقوف على الشهد
 أعانك الله بالتسليم والجلد
 يفديك بالنفس والأهلين والولد

الشعر العربي الحديث

الأدب العربي الحديث¹ هو الأدب الذي ظهر تاريخياً فيما يُطلَق عليه العصر الحديث، هذا العصر الذي يصعب تحديده حسب الحقب أو الحوادث التاريخية، فالعصر العثماني انتهى في بعض الأقطار العربية بعد الحرب العالمية الأولى عام 1918م، ولم يكن له وجود في أقطار عربية قبل ذلك بقرون. وقد أُولي بعض الدارسين أهمية للحملة الفرنسية عام 1798-1801 على مصر وبلاد الشام، وهي حملة استعمارية جلبت معها بعض العناصر الثقافية من مثل المطبعة والصحيفة والمرصد والمكتبة والمسرح والعلماء، وهو ما نبّه الناس في مصر إلى تخلف الواقع وضرورة الانفتاح على العصر، وبناء جيش قوي، شرع في تأسيسه محمد علي، بعد أن سيطر على الحكم بعد جلاء الحملة الفرنسية.

ومن أجل بناء جيش قوي أرسل محمد علي البعثات إلى إيطاليا وفرنسا، وكان رفاعة الطهطاوي مرشداً دينياً لطلاب البعثة الرابعة إلى فرنسا، أفاد من هذه الرحلة في ترجمة المعارف المختلفة، وتعرف الفرق بين واقع المصريين وواقع الغربيين. وقد اهتم الخديوي إسماعيل بالحركة العلمية، فأنشأ مدارس للعلوم والهندسة والطب والحرب، واستأنف إرسال البعثات إلى أوروبا، وأسس نظارة المدارس، وعهد إليها أمر التعليم، وأنشأ المكتبة الخديوية، وبنى مدرسة المعلمين، ويسط يد المؤلفين، فنزح إليها الأجانب من أدباء وعلماء، فكان اختلاط هؤلاء بالمصريين سبباً في نهوض اللغة والأدب.

ومهما يكن من أمر فإن الحياة الثقافية والأدبية أفادت على نحو غير مباشر من هذه الحركة العلمية التي صاحبت إنشاء المدارس المختلفة العامة والمتخصصة لخدمة الجيش، فكان أن ظهرت تيارات فكرية وثقافية مختلفة كان أهمها تيار إحياء التراث لمواجهة النماذج الأدبية والفكرية الغربية، وبدا ذلك واضحاً في الشعر؛ إذ مال الشعراء إلى إحياء النماذج التراثية في العصرين الأموي والعباسي، وبرز من الشعراء الإحيائيين نخبة في أقطار الوطن العربي على رأسهم محمود سامي البارودي، وضمّت هذه النخبة أحمد شوقي، وحافظ إبراهيم، وخليل مطران، وإبراهيم اليازجي، والزهاوي، والرفاعي في العراق، والأمير عبد القادر الجزائري،

(1) أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، ط 8 (بيروت: دار المعرفة، 2004)

وأبو مسلم البهلاني في عُمان.

وتلا ذلك جيل ظلّ متعلقًا بأهداب الكلاسيكية، ممن سُمّوا بالكلاسيكيين الجدد، من مثل الجواهري، وعمر أبو ريشة، وعزيز أباظة، وإبراهيم طوقان، ومصطفى وهبي التل، وبدوي الجبل، إلى جانب شعراء العصبة الأندلسية، وهم شعراء المهجر الجنوبي.

وقد نزعت جماعة (الديوان) المؤلفة من عباس محمود العقاد، وإبراهيم عبد القادر المازني، وعبد الرحمن شكري منزغًا (رومنطقيًا) وأعجبت باللون الغنائي الذاتي واللغة العصرية البسيطة، وقد دعت في «الديوان» الذي صدر منه جزءان، شارك فيهما العقاد والمازني سنة 1921 إلى الصدق في الإحساس والتعبير، ونقدوا المدرسة الكلاسيكية الجديدة، وخاصة أحمد شوقي، وحافظ إبراهيم نقدًا لاذعًا.

والتقت جماعة الديوان مع الرابطة القلمية في مبادئها وفي مفهومها للشعر، وبدا الجانب الرومانتيكي واضحًا في خصائص الشعر لديها، على نحو ما ظهر في العلاقة بين العقاد وميخائيل نعيمة. ومن أعلام الرابطة القلمية: جبران خليل جبران، وميخائيل نعيمة، ونسيب عريضة، وإيليا أبو ماضي، وأمين الريحاني، وقد تأسست الرابطة القلمية سنة 1920 واتخذت من نيويورك مقرًا لها، فثارت على الصور الشعرية القديمة، واستخدمت صورًا رومنطيقية جديدة، ومضامين حديثة، وتأثرت بالطبيعة والحرية.

هيمنت (الرومانتيكية) على الساحة الأدبية في الأفطار العربية خلال الثلاثينات والأربعينات، وقد ظهرت ملامح الحركة (الرومانتيكية) بوضوح شديد في «جماعة أبولو» التي أسسها أحمد زكي أبو شادي، وانضم إليها أعلام (الرومانتيكية) في الوطن العربي من مثل: علي محمود طه، وإبراهيم ناجي، وأبو القاسم الشابي، وأنور العطار. وكانت مجلة أبولو (1932-1934) قد أحدثت نهضة شعرية على مستوى الشكل والمضمون، وظهرت فيها ملامح التحول في تعدد القوافي، وفي التجديد في المعجم والصورة والإيقاع.

وكان من الطبيعي أن يفجّر الشعراء الشباب عواطفهم (الرومانتيكية) في شكل جديد هو شكل الشعر الجديد، أو قصيدة التفعيلة؛ لأسباب فنية واجتماعية واقتصادية وسياسية ونفسية بعد الحرب العالمية الثانية متأثرين بمنجزات (الرومانتيكية) والرمزية اللتين شاعتا في مرحلة ما بين الحربين العالميتين، مما مهّد الطريق لحركة الشعر الجديد أو شعر التفعيلة

الذي بدأ شكلياً في اختيار التفعيلة بدل البيت الشعري، ثمّ اتجه وجهة واقعية، قبل أن تتعدد أشكاله وصوره. ومن رواد هذه المدرسة: نازك الملائكة، وبدر شاكر السياب، وعبد الوهاب البياتي، ونزار قباني، وصالح عبد الصبور، وقد غلب على الشعر الحديث قصيدة التفعيلة التي أصبح لها أعلامها الكبار في وقتنا الراهن.



لن أبكي للشاعرة فدوى طوقان

(أ)

على أطلالِ يافا يا أحبائي
وفي فوضى حُطامِ الدُّورِ بينَ الرَّدَمِ والشُّوكِ
وَقَفْتُ، وَقُلْتُ لِلْعَيْنَيْنِ
قِفَا نَبْكِ
على أطلالِ مَنْ رَحَلُوا، وفاتوها
تُنَادِي مَنْ بَنَاهَا الدَّارُ
وَتَنعَى مَنْ بَنَاهَا الدَّارُ
وَأَنَّ الْقَلْبُ مُنْسَحِقًا
وقَالَ الْقَلْبُ: مَا فَعَلْتَ بِكَ الْيَوْمَ يَا دَارُ؟
وَأَيْنَ الْقَاطِنُونَ هُنَا؟
وَهَلْ جَاءَتْكَ بَعْدَ النَّأْيِ، هَلْ جَاءَتْكَ أَخْبَارُ؟
هُنَا كَانُوا، هُنَا حَلَمُوا، هُنَا رَسَمُوا مَشَارِيعَ الْغَدِ الْآتِي
فَأَيْنَ الْحُلُمُ وَالْآتِي؟ وَأَيْنَ هُمُو؟
وَلَمْ يَنْطِقْ حُطَامُ الدَّارِ
وَلَمْ يَنْطِقْ هُنَاكَ سِوَى غِيَابِهِمْ وَصَمْتِ الصَّمْتِ وَالْهَجْرَانِ
وَكَانَ هُنَاكَ جَمْعُ الْبُومِ وَالْأَشْبَاحِ
غَرِيبَ الرَّجُلِ وَالْيَدِ وَاللِّسَانِ، وَكَانَ
يُحَوِّمُ فِي حَوَاشِيهَا
يَمُدُّ أَصُولَهُ فِيهَا
وَكَانَ الْأَمْرَ النَّاهِي
وَكَانَ... وَكَانَ
وَوَغَصَّ الْقَلْبُ بِالْأَحْزَانِ

(ب)

أَجْبَانِي
 مَسَحْتُ عَنِ الْجُفُونِ ضَبَابَةَ الدَّمْعِ الرَّمَادِيَّةِ
 لِأَلْقَاكُمْ، وَفِي عَيْنِي نَوْرُ الْحُبِّ وَالْإِيمَانِ
 بِكُمْ، بِالْأَرْضِ، بِالْإِنْسَانِ
 فَوَاحِجِلِي لَوْ أَنِّي جِئْتُ أَلْقَاكُمْ
 وَجَفَنِي رَاعِشٌ مَبْلُولٌ
 وَقَلْبِي يَائِسٌ مَخْذُولٌ
 وَهَا أَنَا يَا أَجْبَانِي هُنَا مَعَكُمْ
 لِأَقْبِسَ مِنْكُمْو جَمْرَةَ
 لِأُخْذَ يَا مَصَابِيحَ الدُّجَى مِنْ رَيْتِكُمْ قَطْرَةَ
 لِإِصْبَاحِي
 وَهَا أَنَا يَا أَجْبَانِي، إِلَى يَدِكُمْ أَمْدُ يَدِي
 وَعِنْدَ رُؤُوسِكُمْ أُلْقِي هُنَا رَأْسِي
 وَأَرْفَعُ جَبْهَتِي مَعَكُمْ إِلَى الشَّمْسِ
 وَهَا أَنْتُمْ كَصَخْرٍ جِبَالِنَا قُوَّةُ
 كَزَهْرِ جِبَالِنَا الْحُلُوءُ
 فَكَيْفَ الْجُرْحُ يَسْحَقُنِي؟
 وَكَيْفَ الْيَأْسُ يَسْحَقُنِي؟
 وَكَيْفَ أَمَامَكُمْ أَبْكِي؟
 يَمِينًا بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ لَنْ أَبْكِي

خواطر الغروب للشاعر إبراهيم ناجي

قُلْتُ لِلْبَحْرِ إِذْ وَقَفْتُ مَسَاءً
وَجَعَلْتُ النَّسِيمَ زَادًا لِرَوْحِي
لَكَأَنَّ الْأَضْوَاءَ مُخْتَلِفَاتٍ
مَرَّ بِي عِطْرُهَا فَأَسْكَرَ نَفْسِي
نَشْوَةً لَمْ تَطُلْ صَحَا الْقَلْبُ مِنْهَا
إِنَّمَا يُفْهَمُ الشَّبِيهَ شَبِيهَا
أَنْتَ بَاقٍ وَنَحْنُ حَرْبُ اللَّيَالِي
أَنْتَ عَاتٍ وَنَحْنُ كَالزَّبَدِ الذَّا
وَعَجِيبُ إِلَيْكَ يَمُمْتُ وَجْهِي
أَبْتَغِي عِنْدَكَ التَّأْسِي وَمَا تَمَدَّ

كَمْ أَطَلْتُ الْوُقُوفَ وَالْإِصْغَاءَ
وَشَرِبْتُ الظَّلَالَ وَالْأَضْوَاءَ
جَعَلْتُ مِنْكَ رَوْضَةً غَنَاءَ
وَسَرَى فِي جَوَانِحِي كَيْفَ شَاءَ
مِثْلُ مَا كَانَ أَوْ أَشَدُّ عَنَاءَ
أَيُّهَا الْبَحْرُ، نَحْنُ لَسْنَا سَوَاءَ
مَزَقْتَنَا وَصَيَّرْتَنَا هَبَاءَ
هَبٍ يَغْلُو حِينًا وَيَمْضِي جُفَاءَ
إِذْ مَلَأْتُ الْحَيَاةَ وَالْأَحْيَاءَ
لِيكَ رَدًّا وَلَا تُجِيبُ نِدَاءَ

قال محمود سامي البارودي

أَيُّهَا الْمَغْرُورُ مَهْلاً	لَسْتُ لِلتَّكْرِيمِ أَهْلاً
كَيْفَ صَادَقْتَ الْأَمَانِي؟	هَلْ رَأَيْتَ الصَّعْبَ سَهْلاً؟
خِلْتَهَا مَاءً تَمِيرًا	فَاشْرَبْنِ عَالاً وَنَهْلاً
أَيْنَ أَهْلُ الدَّارِ فَانْظُرْ	هَلْ تَرَى بِالدَّارِ أَهْلاً؟
رُبَّ حُسْنٍ فِي ثِيَابٍ	عَادَ غَسْلِنَا وَمُهْلاً؟
وَعَيُونٍ كُنَّ سَوْدَاً	صِرْنَ عِنْدَ الْمَوْتِ شُهْلاً
سَوْفَ يَلْقَى كُلُّ بَاغٍ	فِي الْوَرَى خِزْيَاً وَبُهْلاً
إِنَّمَا الدُّنْيَا غُرُورٌ	لَمْ تَدْعُ طِفْلاً وَكُهْلاً
كَمْ حَكِيمٍ ضَلَّ فِيهَا	فَاكْتَسَى بِالْعِلْمِ جَهْلاً

الحركة الشعرية في دولة الإمارات العربية المتحدة

إذا أردنا أن نؤرخ للشعر الحديث في دولة الإمارات العربية المتحدة، فإننا نجد صعوبة في تحديد بواكيره، أو بداياته؛ ذلك أن ما وصلنا من الشعر الحديث - حتى الآن - لا يكاد يتجاوز مرحلة العشرينيات، وما بعدها، أما ما قبل ذلك فلا نكاد نعثر على نصوص شعرية نستطيع أن نتخذها منطلقاً لتأريخ الشعر الحديث في هذه المنطقة، ولذلك فإن الدراسات التي تناولت رواد الشعر الحديث في الإمارات تنطلق - عادةً - من الشاعر «سالم بن علي العويس» الذي عاش في الفترة الممتدة ما بين نهاية القرن التاسع عشر، ونهاية القرن العشرين بوصفه الرائد الأول لهذا الشعر الحديث، وبوصفه الشاعر الإحيائي الذي كان يكتب بطريقة متميزة تنأى عن مجازاة الأساليب التي كانت مغلقة في المحسنات البديعية، والتي كانت تركز على الإخوانيات، والمناسبات، والألغاز.

وكل الشعراء والأدباء الذين يُذكرون مع الشاعر «سالم بن علي العويس»، من أمثال: محمد ابن ثاني بن قطامي، وخلفان بن مصبح، ومبارك بن حميد العقيلي، وأحمد بن سلطان بن سليم، ومبارك بن سيف الناحي، وسعيد الهاملي، وأحمد بن خليفة، وعلي بن قمبر، يُعدون من معاصريه، أو ممن عاشوا في فترة قريبة من عصره...

أما الشعراء الذين عاشوا قبل هؤلاء فإننا لا نعرف عنهم شيئاً، وإذا لم نجد نصوصاً شعرية تؤكد هذا التواصل والاستمرار، فإن ذلك يرجع أساساً إلى غياب وسائل الطباعة التي لم تدخل إلى منطقة الخليج إلا في فترة متأخرة¹.

وقد عُرف أوائل شعراء الإمارات باسم «جماعة الحيرة» نسبةً إلى منطقة «الحيرة» في مدينة الشارقة، وهم: صقر بن سلطان القاسمي، وخلفان بن مصبح، وسالم بن علي العويس، وأخوه سلطان بن علي العويس.

وكانت القصائد الشعرية لهؤلاء الشعراء تحتفظ بانحيازها الكامل في الالتزام بالشكل العمودي، مع محاولة التجديد في المعنى، كما تشهد لهم بمستوى متقدم من الوعي

(1) أ. د. الرشيد بوشعير، أدب الخليج العربي الحديث والمعاصر، منشورات دار العالم العربي، دبي، ط 1، 1432 هـ / 2011 م.

والقدرة على الإبداع، وتعدُّ محاور الخطاب الشعريِّ واتجاهاته وجوانبه وجدانيًّا، ووطنيًّا، وقوميًّا.

وجيلُ الشعراءِ الأوائلِ في الإماراتِ اعتمدَ على تثقيفِ ذاتِهِ بوسائلٍ مُختلفةٍ، وذلكَ من خلالِ مُتابعةِ الصُّحفِ والمجلاّتِ التي كانتَ تصلُ إلى المنطقةِ بطريقةٍ غيرِ مُنظَّمةٍ، ومن خلالِ الإذاعاتِ، أو من خلالِ الكتبِ في المكتباتِ الخاصّةِ لدى الميسورينَ والمُثقفينَ من أبناءِ المنطقةِ.

ذكرى جدتي جمال بن حويرب

مَدَّتْ يَدَيْهَا لِلسَّمَاءِ، وَعَيْنُهَا
عِنْدَ الْمَسَاءِ دُعَاؤُهَا فِي هَدَاةِ
تَتَذَكَّرُ الْمَاضِي وَعَهْدَ شَبَابِ
وَمَلَاعِبِ الْأَتْرَابِ فِي الْحَيِّ الْقَدِيمِ
أَزْمَانٍ لَا حُزْنَ، وَلَا تَعَبٍ، وَلَيْسَ
وَمَعَاهِدَ الزَّمَنِ الْجَمِيلِ وَرِفْقَةً
تَتَذَكَّرُ الْمَاضِي بِضَمَّةِ أُمِّهَا
وَدَلَالِ الْوَدَّاءِ وَقُبْلَةِ عَمِّهَا
رَحَلَ الْجَمِيعُ، وَخَلَفُوهَا صَفْحَةً
فَلِمَنْ تَيْنُ، وَمَنْ يَضُمُّ فَوَادَهَا
لَا أَهْلُهَا أَهْلٌ وَلَا أَتْرَابُهَا

مَلَأَى مِنَ التَّارِيخِ وَالْأَحْلَامِ
الْلَّيْلِ الْحَزِينِ وَيَقْظَةَ الْأَلَامِ
أَوَدَّتْ بِنَضْرَتِهِ يَدُ الْأَيَّامِ
وَمَا بِهَا مِنْ أَثْلَةٍ وَثُمَامِ
الْعُمُرُ غَيْرَ تَدَلُّلٍ وَهَيَْامِ
رَحَلُوا بِغَيْرِ تَحِيَّةٍ وَسَلَامِ
وَحَنَانٍ أَخْوَالٍ لَهَا أَكْرَامِ
وَحَفَاوَةِ الْجِيرَانِ وَالْإِكْرَامِ
تُطَوَّى عَلَى الْأَيَّامِ وَالْأَعْوَامِ
بَعْدَ الْمَشِيبِ وَفُرْقَةِ الْأَرْحَامِ
حَتَّى الْخِيَامِ تَبَدَّلَتْ بِخِيَامِ

قال كريم معتوق

أوصى بك الله ما أوصت بك الصحفُ
ما قلتُ واللهِ يا أمِّي بقافيةٍ
يخضرُ حقلُ حروفي حين يحملها
والأمُّ مدرسةٌ قالوا، وقلتُ بها
ها جئتُ بالشعرِ أدنيها لقافيتي
إن قلتُ في الأمِّ شعراً قامَ معذراً
والشعرُ يدنو بخوفٍ ثمَّ ينصرفُ
إلا وكان مقاماً فوقَ ما أصفُ
غيمٌ لأُمِّي عليه الطيبُ يقتطفُ
كُلُّ المدارسِ ساحاتٍ لها تقفُ
كأنما الأمُّ في اللا وصفٍ تتصفُ
ها قد أتيتُ أمامَ الجمعِ أعترفُ

القصة القصيرة



القصة القصيرة

«القصة» مشتقة من الفعل «قَصَّ»، الذي يأتي بمعنى التَّبَع، يقال: قَصَّ فلانٌ أثرَ فلان: أي تتبَّعه. ومنه قوله تعالى: (وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصَّرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾). ويأتي أيضًا بمعنى الإخبار والرواية، يقال: قَصَّ عليه الخبر: أي حدَّثه، وقَصَّ القِصَّة: أي حكاها. فالقِصَّة: هي الحكاية التي تُحكى.

أمَّا «القِصَّة» في الاصطلاح فلها تعريفات كثيرة، لكنَّ معظم هذه التعريفات يؤكد على أنَّ القِصَّة سرد متخيَّل قصير نسبيًّا، يهدف إلى إحداث تأثير معين، وفي أغلب الأحوال تركز القِصَّة القصيرة على شخصية واحدة في موقف واحد، في لحظة واحدة، في مكان بعينه. وقد اختصر بعضهم تعريف القِصَّة بقوله «فنُّ أدبيٍّ نثريٍّ يتناول بالسرِّد حدثًا وقع، أو يمكن أن يقع».

وأهم ما يمكن أن يقال عن القِصَّة (والرواية كذلك) إنها فنُّ غايته الإمتاع في المقام الأول، فليس من أهداف القِصَّة (أو الرواية) أن تقدم معلومات للقارئ بصورة مباشرة، وليس من أهدافها أن تُعلِّم أو تعظ. إنَّ القِصَّة فن، والفن لا يتخذ من الخطاب المباشر وسيلة أو طريقة للتعبير والوصول إلى وجدان القارئ.

إنَّ القِصَّة تستحثُّ القارئ على التفكير والتأمل، وعلى أن ينظر إلى الحياة من زوايا مختلفة، ومن خلال تفاصيل صغيرة جدًّا قد لا ينتبه إليها، لكنها تشكل حياة الناس وتؤثر فيهم، لذلك نقول: إنَّ القِصَّة الناجحة هي التي تجعل القراء يفكرون، ويشعرون.

وهناك عناصر أساسية تقوم عليها القِصَّة (أو الرواية)، والكاتب الناجح هو الذي يشكل من هذه العناصر بناءً فنيًّا متجانسًا متماسكًا، يؤثر في القارئ، ويوصل إليه فكرة ما بشكل غير مباشر، ومن أهم عناصر القِصَّة:

1. الحدث: عادة ما تقوم القِصَّة القصيرة على حدث مفرد؛ فالقِصَّة تجري في زمان محدد، ومكان محدد، وتتناول موقفًا محددًا، أو شريحة من الحياة بغية تسليط الضوء عليها.

2. الشخصيات: عنصر الشخصية يعد دعامة أساسية من دعامات القصة، فلا يمكن أن تُبنى قصة من دون وجود شخصية تحرك الأحداث وتتأثر بها، والشخصية قد تكون إنساناً أو حيواناً أو كائناً متخيلاً.

3. الإطار الزمني والمكاني: يحدد هذا العنصر زمن وقوع الأحداث ومكانها، والكاتب المتمكن يوظف عنصر الزمان والمكان توظيفاً يناسب جو القصة، والفكرة.

4. الراوي ووجهة النظر: الراوي هو الذي يروي القصة، وهو ليس الكاتب، بل الكاتب يختار وجهة نظر معينة تُروى من خلالها القصة، ويرويها راوٍ قد يكون شخصية من شخصيات القصة، وقد يكون راوياً خارجياً. ووجهة النظر التي ينطلق منها الراوي تتقاطع مع فكرة الرواية، لأنها تعبر عنها.

5. الحبكة: الطريقة التي يجمع بها الكاتب أحداث قصته أو روايته ليصنع منها عملاً فنياً، يجذب القارئ، ويشده في اتجاه النص من بدايته حتى نهايته، وقد يظهر خط بسيط للحبكة في بعض القصص، فعلى الرغم من قصر القصة، وضيق المساحة المتاحة للكاتب ليتحرك فيها، إلا أن بعض القصص يظهر فيها تصاعد للأحداث، ووصولها إلى نقطة توتر عليا، ثم انحدار نحو النهاية.

6. التشويق: هو العنصر الذي يشد القارئ نحو القصة وعالمها، وغالباً ما يكون مرتبطاً بشيء تريده الشخصية الرئيسية، أو مشكلة تواجهها. بعض القصص قد تتحرر من البنية التقليدية التي تعتمد على التشويق وتأزم الموقف، خاصة تلك التي تركز على مشهد وحيد مضغوط، أو التي تُبقي القارئ داخل دائرة تفكير الشخصية وتأملاتها وأسئلتها، ولذلك يصنف بعضهم القصص إلى «قصة شخصية» و«قصة حبكة أو حدث». أما الثانية، في الغالب، هي التي قد تحوي عنصر التشويق القائم على توتر الأحداث ووصولها إلى نقطة تأزم عليا.

7. الفكرة أو الموضوع: وهي الرسالة المبطنة في القصة، والتي يريد الكاتب من القارئ أن يصل إليها.

8. اللغة: اللغة ترتبط بحجم القصة، ويجب أن تكون مكثفة تعتمد التلميح بدل التصريح؛ فلا مجال للوصف المسهب فيها، وغالبًا ما يتراوح عدد كلماتها بين خمسمئة إلى عشرة آلاف كلمة، وقد تستخدم الحوار الذي يجب أن يناسب الشخصية، مما يفتح الباب للعبارة العامية والشعبية.



الدُّرس الأخير (ألفونسو دوديه)

حينما اتخذتُ طريقِي إلى المدرسة ذلك الصُّباح، كُنْتُ مُتَأَخِّرًا للغاية، وارتعدتُ فرقًا وأنا أَتَخَيَّلُ ما يَتَنظَّرُنِي مِنْ توبيخٍ شديدٍ، خاصَّةً وأنَّ السَّيِّدَ (هامل) قالَ إِنَّهُ سَيَسْأَلُنَا فِي أَسْمَاءِ الفاعِلِ والمفعولِ، وهو ما لَمْ أَكُنْ أَفْقَهُ فِيهِ شَيْئًا. فَكَّرْتُ لِوَهْلَةٍ فِي الْهَرَبِ، وإمضاء بَقِيَّةِ النَّهَارِ خَارِجَ الْأَسْوَارِ مُتَمَرِّغًا فِي أَحْضَانِ الطَّبِيعَةِ بِكُلِّ جَمَالِهَا وَعُنفَوَانِهَا.

كَانَ الطَّقْسُ رَائِعًا، وَالسَّمَاءُ مُشْرِقَةً بِاسْمَةٍ... وَعَلَى الْأَغْصَانِ هُنَاكَ فِي أَطْرَافِ الْغَابَاتِ شَرَعَتِ الطَّيُورُ تَعْرِفُ سِيمَفُونِيَّةً عَذْبَةً تُشَنَّفُ الْأَسْمَاعَ فِي تَمَارُجٍ مَعَ الطَّبِيعَةِ لَا يَوْصَفُ، فِيمَا كَانَ الْجُنُودُ يُؤَدُّونَ تَدْرِيبَاتِهِمْ، عَلَى أَتْنِي اسْتَعْنْتُ بِكَمِّ هَائِلٍ مِنَ الصَّبْرِ وَصَدَّ الْإِغْرَاءَ لِمُقَاوَمَةِ ذَلِكَ كُلِّهِ، فَهَرَعْتُ إِلَى الْمَدْرَسَةِ مَوْقِنًا بِأَنَّهُ لَا بُدَّ مِمَّا لَيْسَ مِنْهُ بُدٌّ، وبأنه إذا لَمْ يَكُنْ مَا أُرِيدُ، فَإِنَّ عَلَيَّ أَنْ أُرِيدَ مَا يَكُونُ².

ما إِنْ اجْتَرَزْتُ دَارَ الْبَلَدِيَّةِ حَتَّى لَمَحْتُ جَمْعًا غَفِيرًا مِنَ النَّاسِ أَمَامَ لَوْحَةِ الْإِعْلَانَاتِ، تِلْكَ الَّتِي كَانَتْ - وَلَسْتَيْنِ خَلْتَا - مُصَدِّرًا لِمَا يُرْشِدُنَا مِنْ أَخْبَارٍ سَيِّئَةٍ... الْمَعَارِكِ الَّتِي خَسِرْنَاهَا... التَّجْنِيدِ... أَوْامِرِ قَائِدِ الْوَحْدَةِ الْعَسْكَرِيَّةِ... وَفَكَّرْتُ: مَاذَا عَسَاءُ أَنْ يَكُونَ الْآنَ حَدَثٌ؟ وَعَدَوْتُ بِأَقْصَى سُرْعَةٍ، وَفِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ صَاحَ بِي الْحَدَّادُ (وَاشْتَر) الَّذِي كَانَ يَقْرَأُ لَوْحَةَ الْإِعْلَانَاتِ، يُرَافِقُهُ صَبِيَّةٌ³:
- حَفَفِ الْوُطَاءَ يَا بُنَيَّ... سَتَصِلُ إِلَى مَدْرَسَتِكَ فِي مُسَاعٍ مِنْ

(1) ماذا يُمكنُ أَنْ يَقَعُ بَيْنَ الرَّايِ وَالسَّيِّدِ (هامل)؟

(2) ما صِفَاتُ الرَّايِ حَتَّى هَذِهِ النُّقْطَةُ؟

(3) ما الَّذِي يُمكنُ أَنْ يَكُونَ قَدْ حَدَثَ؟

الوقت!

وَحِلَّتُهُ يَهْزَأُ بِي... وما إِنِ حَادَيْتُ الحَدِيقَةَ الصَّغِيرَةَ حَتَّى كُنْتُ قَدْ اسْتَنْفَذْتُ آخِرَ أَنْفَاسِي.

في بداية كُلِّ يومٍ دراسيٍّ، كَانَتِ الجَلْبَةُ تَرْتَفِعُ حَتَّى تَطْرُقَ أَسْمَاعَ المَارَةِ أَسْفَلَ الشَّارِعِ، فَتُحُ وَإِعْلَاقُ الأَدْرَاجِ، والدَّرُوسُ الَّتِي تُرَدِّدُهَا بصوتٍ واحدٍ مُرتَفِعٍ، وَأَيَّدِينَا عَلَى آذَانِنَا سَعِيًّا وَرَاءَ فَهْمٍ أَعْمَقٍ، وَمَسْطَرَّةُ مُعَلِّمِنَا الرَّهِيْبَةُ تَطْرُقُ المَنْضَدَةَ أَمَامَهُ، عَلَى أَنَّ الهَدْوَةَ سَاعَتَهَا كَانَ مُحَيِّمًا عَلَى تَجَاوِيفِ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ. فَوَاعَجَبِي! ويا لِسُوءِ حَظِّي! كُنْتُ أَنُوي التَّسَلَّلَ إِلَى مَكَانِي تَحْتَ سِتَارِ الفُوضَى، وَلَيْسَ ثَمَّةَ فُوضَى!... يَوْمَهَا كَانَ الصَّمْتُ أَشْبَهَ بِسُكُونِ الْمُصَلِّينَ. وَنَظَرْتُ عَبْرَ النَّافِذَةِ، فَإِذَا رِفَاقِي قَدْ جَلَسَ كُلُّ مِنْهُمْ فِي مَقْعِدِهِ، فِيمَا كَانَ السَّيِّدُ (هَامِل) يَذْرَعُ غُرْفَةَ الدَّرْسِ ذَهَابًا وَإِيَابًا، وَمَسْطَرَّتُهُ تَحْتَ إِبْطِهِ. تَعَيَّنَ عَلَيَّ يَوْمَهَا أَنَّ أَفْتَحَ البابَ، وَأَنَّ أَمُرَّ أَمَامَهُمْ جَمِيعًا، وَلَكُّمُ أَنْ تَتَخَيَّلُوا مَا احْتَوَانِي مِنْ خَجَلٍ، وَمَا اعْتَرَانِي مِنْ رُعْبٍ قَاتِلٍ! عَلَى أَنَّ شَيْئًا لَمْ يَحْدُثْ، رَأَيْتُ السَّيِّدَ (هَامِل) فَقَالَ بِرِقَّةٍ: «اذْهَبْ إِلَى دُرْجِكَ بِسُرْعَةٍ أَيُّهَا الصَّغِيرُ (فرانز)، لَقَدْ كُنَّا عَلَى وَشَكِّ البَدْءِ مِنْ دُونِكَ».⁴

(4) سَجَّلَ الحَدِثَ الَّذِي يُعَدُّ بِدَايَةَ القِصَّةِ.

وَقَفَرْتُ بِسُرْعَةٍ إِلَى مَقْعِدِي، وَسَاعَتَهَا لَمْ أَكُنْ قَدْ لَاحَظْتُ أَنَّ مُعَلِّمَنَا كَانَ يَرْتَدِي بَدَلَتَهُ الخَضِرَاءَ الأَنِيقَةَ، وَقَمِيصَهُ المُهْدَّبَ، وَقُبْعَتَهُ الحَرِيرِيَّةَ السَّودَاءَ، لَمْ يَكُنْ يَرْتَدِي ذَلِكَ إِلَّا فِي المُنَاسَبَاتِ، فَمَا الخَطْبُ؟⁵

(5) مَا الخَطْبُ فِي رَأْيِكَ؟

وَزَادَ فِي دَهْشَتِي وَعَجَبِي مَا كَانَ يَسُودُ المَدْرَسَةَ مِنْ صَمْتٍ

وهدوء... على أن استغرابي بلغ أوجه حينما لمحت المقاعد الخلفية وقد امتلأت بأهل القرية تغشاهم - كما تغشانا - سكينه ووقار. لمحت العجوز (هاوزر) يقبعتها ثلاثية الأطراف، ورأيت كذلك عمدة المدينة ومدير البريد السابقين، ونفراً كثيراً.

ولاحظت بأن العجوز (هاوزر) كان قد وضع كتاب مبادئ التعليم على ركبتيه، فيما جعل نظارته الهائلة بين صفحاته، وفي خضم تساؤلاتي الحائرة تلك رأيت السيد (هامل) يتجه إلى مقعده، ويقول بذات النبوة الرقيقة التي خاطبني بها:

- سيكون هذا الدرس يا أولادي هو آخر ما سألقنكم إياه، فقد صدر الأمر من (برلين) بتدريس الألمانية فقط في مدارس (الإلزاس واللورين)، وسيصل مدرّسكم الجديد غداً... أنصتوا إليّ جيّداً، فهذا هو آخر درس لكم بالفرنسية.⁶

ونزلت كلماته عليّ نزول الصاعقة! ذلك إذا ما تسمّر الناس بسببه أمام لوحة الإعلانات «آخر درس لي بالفرنسية!» وأنا بالكاد أكتب! لن أتعلّم أكثر من ذلك؟ كم أشعر الآن بوخز الضمير... بالنّدم على ما أضعته في سالف أيامي من وقت في الجري بحثاً عن أعشاش الطيور، مُهدراً تلك الفرصة التي سنحت لي لتعلّم الفرنسية، وبَدَت لي حقيقتي وكُتبي الثقيلة - المزعجة سابقاً - أحباباً ورفاقاً، أما مُعلّمنا السيّد (هامل) فقد أنساني قُرْب فراقه مسطرته الرهيبة وغبابة أطواره.

يا للمسكين! فذلك إذا ما دعاه إلى ارتداء أجمل ملابس، وأدرّكت الآن سبب حضور أهل القرية؛ لقد كانوا مثلي يعضّون

(6) ماذا تُسمّي هذه اللحظة في بنية الحكاية؟

أصابع الندم؛ لأنهم أضاعوا الكثير سابقاً. لقد جاؤوا تعبيراً عن امتنانهم لذلك الذي خدمهم أربعين سنة بإخلاص لا مثيل له، وعن احترامهم ومحبتهم لهذا الوطن الذي ما عاد وطناً، ولهذه البلاد التي أضحت لغيرهم. جالت تلك الفكرة عاصفة في خيالي، وكُلِّما تَكشَّفت عن حقيقة ازدت أَلَمًا، ولات حين مندم!⁷

(7) في هاتين الفقرتين إبداءُ بفكرة القصة، ما الفكرة في رأيك؟

وفي أثناء ذلك أُمِرْتُ بالقراءة! جاء دوري إذا، ساعتها تمتيت من كل قلبي أن أقرأ المطلوب بكل طلاقة واقتدار، ولكن ليس دائماً ننال ما نتمناه، وقفتُ كالأبله، ثم تعثرتُ عند أول كلمة، ودقات قلبي كطبول هندية مسعورة، ويداي مُمسكتان بطرف المنضدة كوتدين، مطرِّقاً كُنْتُ، ولا أجرو على رفع رأسي خجلاً.

وتسللتُ إلى كلمات السيد (هامل) في رقة وهدوء:

- كن أوبخك أيها الصغير (فرانز)، فيك ما يكفيك عن اللوم والتأنيب، أرايت؟ إننا نقول لأنفسنا كل يوم: لِمَ العجلة؟ هناك مُتسع من الوقت، سأتعلم غداً، وما قد وقع المحذور، ذاك عيب (الألزاس) الأكبر، «تأجيل تعلم اليوم إلى الغد». لقد مكثتم أولئك الدُخلاء - بذلك - أن يقولوا لكم: تدعون بأنكم فرنسيون، ومع ذلك فإنكم لا تستطيعون القراءة أو الكتابة بلغتكم الأم؟! لكنك عزيزي (فرانز) لست الأسوأ، فنحن جميعاً مُقصرون، وعلينا أن نلوم أنفسنا أشد اللوم. إن آباءكم يتحملون قدراً لا بأس به من المسؤولية، فقد كانوا يُفضلون أن تنضموا إليهم في الحقول على تلقّي العلم؛ رغبة في الحصول على حفة من المال. وأنا نصيبي من اللوم والتقصير لا بأس به كذلك؛ أَلَمْ أُرسلكم لسقي أزھاري

في بعض الأحيان بدلاً من تدريسيكم؟ وعندما كنتُ أرغبُ في الذهابِ لصيدِ الأسماكِ أَلَمْ أَكُنْ أَكتفي بِمَنَحِكُمْ إجازةً أنطلقُ بعدها بِسَنارتي كالفاتحِ الْمُظْفَرِ؟

وَتحدّثَ السَّيِّدُ (هامل) في أمورٍ كثيرة، ثُمَّ شرعَ يمتدحُ اللُّغةَ الفرنسيّةَ، وَيُبرِّزُ محاسنها، مؤكِّداً أنّها تحملُ أجملَ وأوضحَ لغاتِ العالمِ، وأنّها الأكثرُ منطقيةً، ولم يَنسَ أن يَحُثَّنَا على التمسكِ بها، والحفاظِ عليها، مُبيناً أنّ الاستعمارَ إذا ما حلَّ بِشعبٍ فإنَّ تَمَسُّكَ هذا الشعبِ بِلُغَتِهِ يعني امتلاكَ مفتاحِ سجنِهِ.

وَفَتَحَ المُعَلِّمُ (هامل) بعدَ ذلكَ كتابَ القواعدِ، فتلا الدَّرْسَ المُقَرَّرَ، وَدَهِشْتُ لِلسرعةِ الَّتِي استوعبتُ بها شَرَحَهُ، وَبدا كُلُّ ما قالَهُ لسمعي سهلاً مُيسراً. لَمْ أَتَذَكَّرُ أَنّي أَصغيتُ سالفاً بِذاكَ القَدْرِ من الاهتمامِ، ولا شَرَحَ هو لَنَا الدَّرْسَ بِمثلِ ذلكَ الصَّبْرِ... بدا الأمرُ كما لو أنّ المسكينَ أرادَ أن يَسْكُبَ في ذواتنا كُلَّ ما يعرفُهُ دُفْعَةً واحدةً.

وتلا القواعدَ دَرَسٌ في الكتابةِ، كَتَبْتُ جُمْلَةً على أوراقٍ جديدةٍ بخطِّ جميلٍ... وَبَدَتْ كما لو كانتَ أعلاماً صغيرةً تُرفرفُ فوقَ أعمدةٍ أدرأجنا... لَيْتَكَ كُنْتَ معنا كي تَشْهَدَ ذاكَ الصَّمْتُ الَّذِي سادَ يومَها، والعملَ الدَّؤُوبَ. لَمْ يَكُنْ هُناكَ ثَمَّةَ صَوْتٍ يُسَمَعُ سوى نَقْشِ الأَقلامِ على الطُّرُوسِ، وَوَلَجَتِ الفَصَلُ بعضُ الخنافسِ عبرَ النافذةِ إلّا أنّ أحداً لَمْ يُعْرِها اهتماماً، حتّى الصَّغارُ... كانوا عنها في شُغْلٍ شاغلٍ. وفي الأَعالي تَرَدَّدَ هَدِيلُ الحَمَامِ خافِئاً عَذْباً، فَقُلْتُ في نفسي: «تُرى، هل سَيُرْغَمونَ الحَمَامَ أيضاً على الهديلِ

(8) كيف سارت
الأحداث بعد أن
عرفوا جميعهم أن
هذا الدرس هو
الدرس الأخير؟

بالألمانية؟»⁸.

وَكُنْتُ أَرْفَعُ رَأْسِي بَيْنَ الْوَهْلَةِ وَالْأُخْرَى، فَأَرَى السَّيِّدَ (هامل)
جَالِسًا عَلَى كُرْسِيِّهِ دُونَ حِرَاكٍ، مُنْقَلًا نَظْرَهُ فِي أَرْجَاءِ الْفَصْلِ
وَأُرْكَانِهِ، فَكَأَنَّمَا هُوَ يُحَاوِلُ تَثْبِيتَ كُلِّ لِقْطَةٍ فِي ذَاكِرَتِهِ إِلَى الْأَبَدِ.
تَخَيَّلْ، قُلْتُ فِي نَفْسِي: طَوَالَ أَرْبَعِينَ سَنَةً كَانَ يَجْلِسُ عَلَى الْكُرْسِيِّ
ذَاتِهِ أَمَامَ الْفَصْلِ، فِيمَا تَتَسَلَّلُ نَظْرَاتُهُ عَبْرَ النَّافِذَةِ بَيْنَ فِينَةٍ وَأُخْرَى
إِلَى حِدِيقَتِهِ الْبَهِيجَةِ. مَا تَغَيَّرَ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ سِوَى امْتِدَادِ يَدِ الْيَلَى
- نَوْعًا مَا - إِلَى الْمَقَاعِدِ وَالْمَنَاضِدِ، وَأَشْجَارِ الْجُوزِ الَّتِي سَمَقَتْ
فُرُوعُهَا، وَتَسَامَتْ، وَأَذْرَعَ اللَّبْلَابُ الَّتِي تَسَلَّقَتْ الْجِدَارَ مُلْتَفَّةً حَوْلَ
النَّوَافِذِ حَتَّى جَاوَزَتْ السَّقْفَ. يَا لِّلْمَسْكِينِ! كَمْ سَيَكْسِرُ ذَلِكَ قَلْبَهُ،
وَيُحَطِّمُ كَيَانَهُ، عِنْدَمَا يُغَادِرُنَا إِلَى غَيْرِ رَجْعَةٍ بَعْدَ أَنْ اعْتَادَ عَلَى ذَلِكَ
كُلِّهِ؟ مَوْجِعُ هَذَا الدَّهْرِ أَحْيَانًا، مُتَقَلِّبٌ، لَا يَقْرَأُ لَهُ قَرَارٌ، وَلَا يَدُومُ
عَلَى حَالٍ.

وَسَرَعْتُ أَقْرَأُ مَلَامِحَ الْأَسَى فِي تَقَاطِيعِ وَجْهِهِ، وَهُوَ يَسْتَمِعُ
إِلَى وَقْعِ خُطُوبِ أُخْتِهِ فِي الْغُرْفَةِ الْعُلُويَّةِ، وَهِيَ تَرْوَحُ وَتَجِيءُ فِي
خِصَمِّ إِعْدَادِهَا لِحَقَائِبِ السَّفَرِ، إِذْ كَانَ يَتَحَتَّمُ عَلَيْهِمَا مُغَادَرَةُ الْبِلَادِ
فِي الْيَوْمِ التَّالِي. لَكِنَّ السَّيِّدَ (هامل) كَانَ يَتَحَلَّى بِشَجَاعَةٍ لَا مِثْلَ
لَهَا، مَكْنَتُهُ مِنَ الْاسْتِمَاعِ إِلَى كُلِّ دَرْسٍ حَتَّى نِهَائِيَّتِهِ.

بَعْدَ دَرْسِ الْكِتَابَةِ جَاءَتْ حِصَّةُ التَّارِيخِ، ثُمَّ شَرَعَ الصِّغَارُ فِي
تَرْيِيدِ الْحُرُوفِ الْهَجَائِيَّةِ، فِيمَا كَانَ الْعَجُوزُ (هاوزر) يَنْطِقُ الْحُرُوفَ
مَعَهُمْ، وَكِتَابَتُهُ مُفْتُوحٌ عَلَى رُكْبَتَيْهِ، وَقَدْ أَمْسَكَ بِهَ بِكِلْتَا يَدَيْهِ فِي
شَوْقٍ وَلَهْفَةٍ مُوَدَّعٍ. كَانَ هُوَ أَيْضًا يَبْكِي، بَدَا ذَلِكَ وَاضِحًا فِي تَهْدُّجِ

نبراتِ صوتهِ التي أَرعَشَها الانفعالُ. كانَ سَماعُ ذلكَ مُضحِكًا، إلى حدِّ داهمَتنا معه الرّغبةُ في الضّحكِ والبُكاءِ معًا⁹. أوّاهُ، كمُ أتذكّرُ ذلكَ الدّرسَ الأخيرَ! ذِكرُاهُ لا تُبارِحُ خيالي، ولا أخالُها تفعلُ ما حَيثُ.

ودقّت ساعةُ المدينةِ الكبيرةُ فجأةً مُزامنةً معَ صوتِ أبواقِ الجنودِ العائدينَ لِتَوَهُّمٍ من ساحةِ التّدريبِ، ونهَضَ السيّدُ (هامل) مِنْ مقعدهِ، وبدا شاجِبًا باهتَ الملامحِ، وخُيِّلَ إليَّ أنّي لَمْ أَرَهُ بهذا الطّولِ مِنْ قَبْلُ.

أيُّ أصدقائي، قالَ: أنا... أنا... على أنّهُ لَمْ يَستطِعْ مواصلةَ الحديثِ، ثُمَّ غَصَّةٌ في حلقهِ مَنَعَتْهُ مِنْ ذلكَ.

أوى إلى رُكنٍ قَصىٍّ مِنَ الفِصلِ، وأسندَ إلى الجدارِ رأسَهُ، ودوّنَ أنْ يَنبَسَ يَنبَتِ شَفَةٍ، أشارَ إلينا بيدهِ أنْ يَماكَنَكمُ الانصرافُ¹⁰.

(9) هل ترى علاقةً بينَ أشجارِ الجوزِ والّبلابِ والمُعَلِّمِ (هامل)؟

(10) ما الحَدَثُ الَّذي خَتَمَ القِصَّةَ؟

المناورة محمّد مستجاب

(1)

نَظَرَ إِلَى الْبَقَالِ، وَقَالَ لَهُ: «أُرِيدُ جُبْنًا وَزَيْتُونًا»، ثُمَّ أَلْقَى إِلَيْهِ بِالنُّقُودِ،
تَنَاوَلَهَا الْبَقَالُ، وَتَفَحَّصَهَا، ثُمَّ اسْتَدَارَ إِلَى دَاخِلِ الْمَحَلِّ، وَأَخَذَ يَقْطَعُ
قَالِبَ الْجُبْنَةِ، وَيَضَعُ الْقِطْعَ فِي الْمِيزَانِ، تَدَارَكَ ذَبْذَبَةَ الْمِيزَانِ، فَأَضَافَ
إِلَيْهِ قِطْعَةً جُبْنٍ أُخْرَى، زَادَتْ عَنْ مُعَدِّلِهَا، فَمَدَّ السَّكِّينَ، وَانْتَزَعَ جُزْءًا
مِنْهَا غَيْرَ أَنَّهُ سُرِعَانَ مَا ارْتَبَكَ، فَقَدْ سَقَطَ الرَّجُلُ مَغْشِيًا عَلَيْهِ.

فَقَرَعَ الْبَقَالُ مِنْ فَوْقِ (الْبَنْكِ)، لِيَصِلَ إِلَى الْجَسَدِ الْمُسْجَى، تَجَمَّعَ النَّاسُ،
وَبَدَأَ ذُووُ التَّجَارِبِ يُفَضُّونَ بِنَصَائِحِهِمْ: كُولُونِيَا، مَاءً بَارِدًا، تَهْوِيَةٌ بَوْرَقِي
مُقَوًى..

صَرَخَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ: «هَاتُوا الْإِسْعَافَ».

عَادَ الْبَقَالُ، فَقَفَزَ فَوْقَ (الْبَنْكِ) ¹ إِلَى دَاخِلِ الْمَحَلِّ، سَحَبَ (التِّلْفُونَ)،
وَوَضَعَ يَدَيْهِ فِي (التِّلْفُونَ)، وَكُلَّمَا مَرَّتْ لَحْظَةً أَلْقَتْ بِالْعَابِرِينَ فِي حَلْقَةِ
التَّفْرِجِ عَلَى الْجَسَدِ الْمُسْجَى ²، وَأَخِيرًا رَدَّتِ الْإِسْعَافَ عَلَيْهِ، فَرَاحَ يَصْرُخُ
بِعُنْوَانِهِ وَرَقَمَ مَحَلِّهِ وَرَقَمَ بِطَاقَتِهِ الشَّخْصِيَّةَ، وَيَحْلِفُ لَهُمْ أَنَّ الرَّجُلَ
مُجَرَّدُ عَابِرٍ، لَا يَعْرِفُ عَنْهُ شَيْئًا، ثُمَّ أَنْبَأَهُمْ جَمِيعًا - وَهُوَ يُجَفِّفُ عَرَقَهُ -
بِأَنَّ عَرَبَةَ الْإِسْعَافِ قَادِمَةٌ حَالًا.

كُولُونِيَا، مَاءً بَارِدًا، تَهْوِيَةٌ بَوْرَقِي مُقَوًى.. فإِذَا بِالرَّجُلِ يَقُومُ قَوِيًّا مُعَافَى،
يَكَادُ أَلَّا يَكُونَ صَاحِبَ الْجَسَدِ الْمُسْجَى، تَقْصُ الْعُبَارَ عَنْ مَلَابِسِهِ،
وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِمْ جَمِيعَهُمْ، وَوَجْهُهُ يَنْزِعُ عَرَقًا أَوْ خَجَلًا، فَتَحَّ لَهُ النَّاسُ طَرِيقًا،
وَرَحَلَ بِلا جُبْنَةٍ وَلَا زَيْتُونٍ..

(1) هل يُمكنك أن
تخمن معنى "البنك"
من سياق الكلام؟

(2) ماذا تفهم من هذه
العبارة؟

(2)

الإسعافُ ستخربُ بيتك!

إنتبه الناس إلى المأزق الذي وقع فيه البقال، فجروا يميناً، وجروا يساراً، وعادوا ينفضون الأيدي، ويتسائلون: «أين ذهب صاحب الجسد المسجى؟».

بدأت الأفكار المزعجة تغطي المكان: واحدٌ يخفي أن عربة إطفاء الحريق جاءت إلى بيته بعد أن انطفأ الحريق، فغرموه عشرين جنيهًا، وواحدٌ أخذ ابنه إلى الطبيب بعد أن يتس من وصول الإسعاف، فغرموه عشرين جنيهًا، وواحدٌ أبلغ عن مشاجرة، فوصل (البوليس) بعد أن فضت، فاعتبروه قد أبلغ عنها كذبًا، وواحدٌ قضى أسبوعًا في سجن المدينة بتهمة إقلاق السلطات، وإهمال القبض على اللص المبلغ عنه، وهناك عشرات التجارب التي جعلت البقال يصرخ: «أين أنت، يا صاحب الجسد المسجى؟»⁴.

(4) ماذا تُسمى هذه اللحظة في خط سير الأحداث في القصة؟

(3)

في مثل هذه الحالات يتقدم واحدٌ بالحل الأمثل، ويقترح أن يتصنع أحد الواقفين الغيوبة، وأن ينام أمام المحل، وسيعمل رجال الإسعاف على إنقاذه، ولن يحدث شيء، هو حلٌ موفّق: «لماذا لا تتقدم أنت؟»، فانتفض وريد الشهامة في صاحب الحل الأمثل، وألقى بنفسه أمام المحل، فصحك الناس، وشكروه، وقفز صاحب المحل من فوق (البنك)؛ ليكون إلى جانب الجسد المسجى.

(5) ما معنى العبارة التي تحتها خط؟

(4)

جلجكت الإسعاف بصغيرها المقلق، فأثارت الغبار في الشارع

والأزتعاش في قلوب الناس، كتم العارفون بالحيلَة الضحك، وافتعلوا
التشاغل بالنظر إلى الجسد المسجى.

وقفت عربة الإسعاف، ونزل منها رجلان باهتمام وحيوية، أمرا الناس
بالابتعاد، فتباطؤوا في الرجوع إلى الخلف، تقدم الرجلان إلى الجسد
المسجى، حركا ذراعيه، ووضعوا أذنيهما على التواقي فوق صدره، أعادا
تحريك الذراعين، فتح أحدهما عين الرجل.

انطلقت بعض الضحكات من الحلقات الملتفة حول الجسد المسجى،
وصرخ أحد الرجلين في الناس، ثم قال: «مات الرجل!»⁶

(6) هل كنت تتوقع هذا
النهاية؟



مُفْتَتَشُ الْمَدَارِسِ (م. آثار طاهر)

استفسر المُفْتَتَشُ مِنْ فَلَاحٍ كَانَ يَحْمِلُ مُحْرَاثَهُ إِلَى نَجَارٍ أَسْفَلَ الشَّارِعِ
عَنِ الْمَدْرَسَةِ.

أَوْ.. أَجَلُ هُنَا مَدْرَسَةٌ فِي مَكَانٍ مَا.. وَأَعْتَقَدُ أَنَّهَا خَارِجُ الْقَرْيَةِ. وَأَشَارَ
بِأَصْبَعٍ مُشَقَّقَةٍ طَلَاهَا الْعَبَارُ إِلَى الطَّرِيقِ الطَّالِعِ مِنَ الْقَرْيَةِ.

كَانَتْ الشُّوَارِعُ مَلِيئَةً بِالْمَطَبَّاتِ وَالطِّينِ، وَتَسَرَّبَ إِلَيْهَا كَثِيرٌ مِنَ الْمِيَاهِ
النَّازِحَةِ مِنَ الْبُيُوتِ الطِّينِيَّةِ.. فِيمَا اتَّشَحَّتْ أُخْرَى سَلِمَتْ مِنَ الْمَاءِ
-بِالْعَبَارِ- وَانْتَهَتْ تِلْكَ الشُّوَارِعُ فَجَاءَتْ حَيْثُ بَدَأَتْ الْحَقُولُ، فَمَا كَانَ مِنَ
الْمُفْتَتَشِ إِلَّا أَنْ سَارَ عَبْرَ دَرْبٍ رَطْبٍ بَيْنَ حَقْلَيْنِ. وَعَلَى بُعْدٍ بَصُرَ بِسَائِقِ
دَرَاجَةٍ مَتَّجِهَاً نَاحِيَتَهُ، وَمَا إِنْ اقْتَرَبَ مِنْهُ حَتَّى تَوَقَّفَ سَائِقُ الدَّرَاجَةِ،
وَنَزَلَ عَنْهَا قَبْلَ أَنْ يَقِفَ بِاحْتِرَامٍ لَهُ:

- أَيْنَ الْمَدْرَسَةُ؟

- الْمَدْرَسَةُ؟

- أَجَلُ!

- أَتَرَى شَجَرَةَ الشَّيْشَامِ تِلْكَ. قَالَ الدَّرَاجُ مُشِيرًا إِلَى شَجَرَةٍ بَعِيدَةٍ. إِنَّهَا
تَحْتَهَا.

- هَلْ بِإِمكَانِكَ أَنْ تَأْتِيَ مَعِيَ فَتُرِنِي إِيَّاهَا؟

وَعَمَرَتِ الْقُرُوبُ مَوْجَةً زَهْوٍ إِذْ إِنَّهُ قُدِّرَ لَهُ أَنْ يَمُدَّ يَدَ الْعَوْنِ إِلَى سَيِّدِ
جَلِيلٍ مِنَ الْمَدِينَةِ، وَأَعْلَنَ عَلَى الْفُورِ مَوَافَقَتَهُ. وَشَعَرَ بِالْفَخَارِ يُكَلِّلُ
هَامَتَهُ تَارَةً أُخْرَى، إِذْ تَخَيَّلَ نَفْسَهُ وَمُدِيرَ الْمَدْرَسَةِ وَطُلَّابَهَا أَوْ أَيَّ عَابِرٍ
قُرُوبٍ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ وَهُوَ بِصُحْبَةِ ذَلِكَ الْبَاشَا.. شَأْنُهُ لَا شَكَّ سَيَعْلُو فِي
قَرِينَتِهِمُ الْغَافِيَةِ.. وَأَحْسَنَ لَذَلِكَ بِشَيْءٍ مِنَ الْعُجْبِ وَالتَّيِّهِ انْتَفَخَ لَهَا

صَدْرُهُ^١.. وَسَارَا سَوِيًّا.

- إِنَّهُ رَجُلٌ رَائِعٌ يَاسِيدِي، الْمُعَلِّمُ أَعْنِي، وَهُوَ يَعْمَلُ بَجْدٍ وَدَأْبٍ^٢.

لَمْ يُجِبْ مُفْتِّشُ الْمَدَارِسِ، لَقَدْ أَضَحَّتْ عَمَلِيَّةُ الْبَحْثِ عَنِ الْمَدَارِسِ
عَبْرَ الْقَطَاعَاتِ اسْتِزَافًا لِصَبْرِهِ وَجَلْدِهِ، فِي الْمُدُنِ الْقَدِيرَةِ وَالْأَقَالِيمِ النَّائِيَةِ
وَالْمَرَكَزِ الْمُثْقَلَةِ بِالذُّخَانِ وَالْغُبَارِ، وَفِي الْقُرَى النَّائِيَةِ حَيْثُ الطَّرَقَاتُ
ضَيِّقَةٌ لَا يُمْكِنُ لِسَيَّارَتِهِ «الْجَيْبِ» أَنْ تَسِيرَ عَبْرَهَا.. وَالْوَضْعُ الْكَثِيبُ لَذَلِكَ
كُلِّهِ كَمْ يَبْعَثُ الْحُزْنَ فِي النَّفْسِ.. كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَعْتَادَ ذَلِكَ عَبْرَ سَنَوَاتِ
عَمَلِهِ الثَّلَاثِ.. لَكِنَّ الْأَمْرَ لَمْ يَكُنْ بِهِذِهِ السَّهُولَةِ، فَكُلُّ مَدْرَسَةٍ كَانَتْ
مَنْبَعٌ وَجَعَ مَخْضٍ؛ نَقْصِ الْمُؤْنِ، لَا مَبَالَاةَ النَّاسِ، تَسِيْبُ الطَّلِبَةَ، وَعُتُوُّ
الْمُعَلِّمِينَ، كَانَ ذَاكَ كَثِيرًا جَدًّا^٣. ثُمَّ، مَا الَّذِي بَوَسَّعِهِ أَنْ يَعْمَلَهُ؟ تَوْصِيَّاتُ
وَتَوْصِيَّاتُ تَرْفُضُهَا إِدَارَةُ التَّخْطِيطِ وَالتَّنْمِيَةِ تِلْكَ الَّتِي تُخَطِّطُ قَلِيلًا وَتُطَوِّرُ
أَقْلَ مِنَ الْقَلِيلِ!^٤

وَمَرَّ بِحَقُولٍ مَحْرُوثَةٍ وَأُخْرَى قَدِ اخْضَلَّتْ بِخُضْرَةِ الْقَمْحِ الْبَكْرِ،
وَتَجَمَّعَتِ الْمِيَاءُ فِيهِ فَرَكَدَتْ، فِيمَا كَانَتِ الْحَشْرَاتُ تَطِيرُ فَوْقَهُ أَوْ تَزْحَفُ
عَلَى سَطْحِهِ، وَعِنْدَمَا دَنَيْتَا مِنْهَا ارْتَفَعَتْ فِجَاءً وَقَدْ عَلَا طَنِئُهَا.. وَرَوَّحَ
مُفْتِّشُ الْمَدَارِسِ عَلَى وَجْهِهِ طَارِدًا إِيَّاهَا فِيمَا كَانَ الْفَلَّاحُ يَسِيرُ دَافِعًا
دَرَاجَتَهُ بِخُطَوَاتٍ وَاسِعَةٍ رَشِيقَةٍ، وَأَجْرَاسُهَا تَهْتِكُ أَسْتَارَ السُّكُونِ. وَوَجَدَ
الْمُفْتِّشُ صَعُوبَةً فِي السَّيْرِ بِمَحَاذَاتِهِ.. وَمَرًّا بِحَقْلٍ ذُرَّةٍ فِي أَكْوَازِهَا لَمَّا
تَزَلَّ، وَخَلَفَ الْحَقْلُ سَمَقَتْ شَجَرَةُ «الشَّيْشَامِ»!

كَانَتْ شَجَرَةٌ ظَلِيلَةٌ عَلَى حَافَةِ حَقْلٍ حُرِثَ مُنْتَظِرًا طَوْرَ نَثْرِ الْبَذْرِ، إِلَّا أَنْ
أَحَدًا لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ.. وَاسْتَاءَ الرَّيْفِيُّ:

- قَدْ كَانَتْ الْمَدْرَسَةُ هُنَا، أَنَا مُتَأَكِّدٌ مِنْ ذَلِكَ، قَبْلَ حَرْثِ الْأَرْضِ عَلَى
أَقْلٍ تَقْدِيرٍ!

- ثُمَّ؟

(١) كَيْفَ يَشْعُرُ

الْقُرَوِيُّ إِذَا مُفْتِّشُ

الْمَدْرَسَةِ؟ لِمَاذَا؟

(٢) هَلْ تَتَوَقَّعُ أَنْ يَكُونَ

الْمُعَلِّمُ كَمَا وَصَفَهُ

الْقُرَوِيُّ؟

(٣) كَيْفَ تَصِفُ حَيَاةَ

مُفْتِّشِ الْمَدَارِسِ مِنْ

هَذِهِ الْفَقْرَةِ؟

(٤) مِنْ هَذَا الْحَوَارِ

الِدَاخِلِيِّ الْقَصِيرِ

كَيْفَ تَصِفُ

إِحْسَاسَ الْمُفْتِّشِ؟

- لا بُدَّ وأنها انتقلت إلى موقعٍ آخر!

- ولكن.. المبنى..؟

- المبنى؟!!

- أليس هناك مبنى؟

- كلاً سيّدي، لا مبنى هناك البتّة، إنّ المُعلّم ينقلها معه، وأنّى ذهب
ارتحلتُ معه.

وأبصرَ الرّيفيُّ فلاحاً يحملُ مجرّفةً على بُعْدِ حُقُولٍ عِدّةٍ، بعدَ أن أُعيتهما
الحيلةُ:

- هيه.. أنت. صاح فيه.

وَتوقّفَ الجَسَدُ المَحْنِيّ عَنِ الجَرْفِ قَبْلَ أَنْ يعتدلَ. كانتِ الشَّمْسُ ساقطةً
في عَيْنَيْهِ، فظلَّلَهما بيديهِ، ونظرَ إليهما:

- أينَ المدرسةُ يا صاح؟ هنا أستاذُ منَ المدينةِ ليراها.

- مدرسة؟ إنّ الأولادَ بجانبِ حقلِ القصبِ، لقد رأيتُهم على ما أظنُّ
مُتجهينَ إليه هذا الصباح. صاح الفلاحُ مُجيباً.

كَانَ حَقْلُ القَصَبِ كَثِيفاً غَنِيّاً بالمحصولِ، فيما امتدّت سُوقُ النِّبَاتِ فِي
شُمُوحٍ.. وقد اصطبغتْ ببقعِ رماديّةٍ الاخضرارِ.. وحمراءَ داكنةٍ، وغابتْ
ذراها في رَقْصَةٍ نَشْوَى مُتمايلةٍ مَعَ هَزَاتِ النِّسِيمِ. وفي الجهةِ الأخرى
كَانَتْ هُنَاكَ حُقُولٌ عِدِيدَةٌ قد حُرِثَتْ، وَأَنَّ بِذَارُهَا. وَنَظَرَا حَوْلَهُمَا.. لَمْ
يَكُنْ هُنَاكَ أَحَدٌ.

- لقد ذكرَ حَقْلَ القصبِ! قَالَ الرّيفيُّ فِي دهشةٍ.

- أَجَلْ. قَالَ المُفْتَشُّ. باتَ الأمرُ مُمِلًا.

- رُبَّمَا كَانَتْ فِي النَّاحِيَةِ الْآخَرَى!

- اسمع! اذهب أنت وَتَحَرَّ عَنْ ذَلِكَ، وَعِنْدَمَا تَجِدُ الْمَدْرَسَةَ أَخْبِرْنِي.

قَالَ مُفْتَشُّ الْمَدَارِسِ مَاسِحًا حَاجِبَهُ.

وَطَرَحَ الرَّيْفِيُّ دِرَاجَتَهُ جَانِبًا، وَانْطَلَقَ يَبْحَثُ عَنِ الْمَدْرَسَةِ الْمَفْقُودَةِ.

أَمَّا مُفْتَشُّ الْمَدْرَسَةِ فَقَدْ جَلَسَ مُجِيبًا بَصَرَهُ فِي الْأَرْضِ السَّمَرَاءِ،
وَالْمَحْصُولِ الْمَائِلِ أَمَامَهُ.. فِي الْإِخْضَارِ الْمُتَمَدِّدِ أَمَامَ نَظَرِيهِ بَاهِيًا
زَاهِيًا.. وَقَدْ تَفَاوَتْ دَرَجَاتُهُ وَظِلَالُهُ حَتَّى إِذَا مَا لَامَسَ طَرَفَ السَّمَاءِ كَانَ
فِي أَوَّاهَا.

وَلَمْ تَكُنْ ثَمَّةَ غَيْمَةٍ فِي السَّمَاءِ.. نَعَقَتْ بِضَعُ بَوْمَاتٍ فِي أَشْجَارٍ بَعِيدَةٍ،
وَحَلَقَتْ بَعْضُ الْحِدَادِ عَالِيًا فِي كَسَلٍ فِيمَا عَبَرَتْ فَوْقَهُ عَصَافِيرُ جَذَلَى
مُتَرْتَمَةٍ.

وَسَمِعَ فَجَاءَةً صِيَاحًا عَالِيًا، وَلَمَّا التَفَتَ حَوْلَهُ أَبْصَرَ الرَّيْفِيَّ يَعْدُو فِي
اتِّجَاهِهِ وَهُوَ يَوْمِيءُ لَهُ، وَنَهَضَ مُفْتَشُّ الْمَدَارِسِ، فَأَحَسَّ تَشَنُّجًا فِي
عَضَلَاتِهِ، لَقَدْ كَانَ بَلَا لِيَاقَةٍ.. وَهُوَ يَعْرِفُ ذَلِكَ جَيِّدًا، وَرَاحَ يَلُومُ نَفْسَهُ،
لَا بُدَّ وَأَنْ يَفْعَلَ شَيْئًا فِيمَا يَخْتَصُّ بِذَلِكَ! إِنَّهُ يَجْلِسُ فِي مَكْتَبِهِ، وَيَجْلِسُ
فِي سَيَارِيهِ الْجَبِيبِ، ثُمَّ يُنْهِي ذَلِكَ السِّيَاقَ الطَّوِيلَ مِنَ الْجُلُوسِ..
بِالْجُلُوسِ فِي الْكُرْسِيِّ الْوَحِيدِ فِي الْمَدَارِسِ الَّتِي يَزُورُهَا⁵.

(5) هُنَا أَيْضًا كَيْفَ
تَرَى حَيَاةَ مُفْتَشِّ
الْمَدَارِسِ؟

- لَقَدْ وَجَدْتُهَا!

قَالَ الرَّيْفِيُّ الطَّيِّبُ بِاسْمًا مُتَهَلِّلًا وَهُوَ يَتَقَدَّمُهُ كِي يُرِيَهُ ضَالَّتَهُ!

عَلَى أَنَّ مُفْتَشِّ الْمَدَارِسِ تَرَدَّدَ لَوَهْلَةٍ، قَدْ يَتَعَرَّضُ لِلسَّرْقَةِ فِي ذَلِكَ
الْحَقْلِ الْكَثِيفِ وَلَا شَاهِدَ هُنَاكَ. وَأَخَذَ طَرِيقَهُ بَعْدَ لَأْيٍ، وَرَوَّوْسُ الْقَصَبِ
الْخَضِرُ تُجَرِّحُ يَدَيْهِ وَوَجْهَهُ. وَثْنَى ذِرَاعِيَهُ فَوْقَ رَأْسِهِ، لَكِنَّهُ تَعَثَّرَ مَرَّاتٍ
عِدَّةً لَصَلَابَةِ الْأَرْضِ تَحْتَهُ، وَتَبَعَ السُّوقَ الْمَهْتَزَّةَ الْمُفْعَمَةَ بِالضَّجِيجِ حَتَّى

وصل إلى وسط الحقل، وهناك.. وفي بقعة قُصّت أعراد القصص فيها
فبدت ملساء، جلس أربعون طالباً الفُرفُصاء على الأرض الجرداء.. لم
يكن تحتهم بساط يقيهم صلابة الأرض.. كان الهدوء يلفهم برداء يعث
الراحة في النفوس، بدا ذلك جلياً لمفتش المدارس الذي قارن ذلك
بصخب عيدان القصب إبان توجّه إليهم⁶.

واهتزت الرؤوس جماعياً في محاولة لحفظ جداول الضرب فيما انحنى
قسم منهم على ألواحهم يستذكرون ما دُون فيها.. ووضعت بعض
الألواح تحت الشمس كيما يجف مدادها الرطب. وجلس مُسنٌ يحمل
عصاً على كرسي مهلهل مُتداع.. واهن.. رُمم مرات عدة، ودعمت
أطرافه بشرائح حديدية تُثبت فيه بمسامير، أما ظهر الكرسي فقد بُتت
بالواح رُكبت على إطاره الأصلي. ونهض مُعلّم الصبيان فجأة وقدمه
تبحث عن فردة حذائه:

- وقوف! صاح المرشد أمراً بالإنجليزية.

وهب التلاميذ وقوفاً.. ماسحين ما علق بظهورهم من غبار. واستغرق
المعلم بعض الوقت كيما يتمالك نفسه فقد أذهله حضور المفتش،
ونفض الغبار عن الكرسي الذي ترأس به طلبته، بقطعة قماش كانت
فوق كتفه قبل أن يُقدّم المقعد للمفتش. ووقف الريفّي مُنتظراً إشارة ما،
لكن المفتش شكره فاخفى كما جاء.

- حضور، احترام، حضور. صاح المعلم!

- إذا فهذه هي المدرسة؟

قال المفتش مُجيباً بصره فيما حوله وقد قطب جبينه، وابتلع المعلم
ريقه بصوت مسموع:

- نعم سيدي.

(6) ما أول انطباع
كونه المفتش عن
المدرسة؟ علام يدل
ذلك؟

- وما الذي تُدرّسه لهم؟ وسمعه المُفتّش يزدرد ريقه بصعوبة ثانية:

- إني أدرّسهم (الأردو) والحساب والإنجليزية والكتابة سيدي.

- من الكتب المقرّرة؟

- من المقرّرات.. سيدي!

قال ذلك قبل أن يُسلم المُفتّش مجموعة من الكتب المُعبرة الرثة كانت تحت رجل الكرسي. وجال المُفتّش بإصبعه عبر مُقرّر «الأردو»، ثمّ توقّف عند أحد فصوله، وأمر طالباً أن يقرأ. ونهض الصبيّ لكنّه سرعان ما دلف في ردهات الارتباك والصمت!

- سيدي! هذا كتاب للصف الرابع، وهو طالب في الثاني!

- كم فصلاً لديك هنا؟

- ستة سيدي! من الفصل الأول حتى السادس.

وتبيّن للمفتّش أن ما خاله مجموعة واحدة كانت في الواقع ستاً!

- هذا هو الفصل الرابع، سيدي! قال المعلمُ مُشيراً بعصاه.

- اقرأ أنت. قال المُفتّش أمراً أحدهم.

ونَهَضَ الصبيّ فشرع يقرأ، كانت قراءته واضحة عالية النبرات. لم يُخطيء البتّة، كما لم يتأتأ. وبدا جلياً أن المُعلّم قد استردّ كثيراً من ثقته بنفسه تبعاً لذلك.

- اسأل فصلاً آخر، سيدي! قال المعلمُ بحماس!

وطلب المُفتّش من الفصل الثاني إجراء بعض عمليّات الجُمع فأتَمّها معظمهم بطريقة صحيحة. وقرأ طالبان من الفصل الأول الحروف الأبجدية دون خطأ بالطريقة الإيقاعية التي ساعدت على إجادتها صمّاً،

وَهُمْ يَتَأَرْجِحُونَ فِي أَمَاكِنِهِمْ إِلَى الْأَمَامِ وَالْخَلْفِ، وَتَلَا طَالِبٌ مِنَ الصَّفِّ السَّادِسِ نَشِيدًا بِالْإِنْجِلِيزِيَّةِ بَدْءًا وَمُنْهِيًا عَلَى النَّسَقِ الْإِيقَاعِيِّ ذَاتِهِ، وَفَكَرَ الْمُفْتَشُّ؛ إِنْ كَانَ يَحْفَظُهُ عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ فَشَيْءٌ رَائِعٌ، أَوْ كَانَ ضَمِنَ الْمَقَرَّرَ، وَهُوَ مَا يَشْكُ فِيهِ فَذَاكَ أَرُوغٌ. وَعَلَى أَيْ حَالٍ فَقَدْ كَانَ الْمَسْتَوَى الَّذِي لِحَظُهُ فَوْقَ مَا يَتَوَقَّعُ مِنْ طَلِبَةِ الْمَرْحَلَةِ الْإِبْتِدَائِيَّةِ فِي الْمَنَاطِقِ الْوَاقِعَةِ ضَمِنَ نَظَائِقَهُ حَقًّا. إِنَّ هَذَا الْمُعَلِّمَ يَسْتَحِقُّ مَا اكْتَسَبَهُ مِنْ سُمْعَةٍ كَالذَّهَبِ. وَنَهَضَ مُفْتَشُّ الْمَدَارِسِ، وَقَدْ أَثْلَجَ مَا رَأَى صَدْرَهُ، وَسَمِعَ لِكُرْسِيِّهِ صَرِيرًا، فِيمَا بَدَأَ الْمُعَلِّمُ مُبْتَهِّجًا بِأَشَأْ مَسْرُورًا⁷.

- وقوف. صاح المرشد. بدا صوته أعلى من ذي قبل.

وخرج مُفْتَشُّ الْمَدَارِسِ، أَمَّا الْمُعَلِّمُ فَتَبِعَهُ حَامِلًا عَصَاهُ. سَتَحَدَّثُ الْقَرْيَةُ وَمَا جَاوَزَهَا عَنْ ذَلِكَ الْحَدَثِ أَيَّامًا عَدَّةً.. وَتَنْفَسُ مُفْتَشُّ الْمَدَارِسِ الصُّبَدَاءَ حَالَ خُرُوجِهِ مِنَ الْحَقْلِ:

- لماذا تنتقل بمدرستك على هذا النحو، أليس بوسعك استئجار غرفة؟

- أستاذجُر؟ سيدي!!

- حسنًا.. لِمَ لا تفعل؟

- كَلَّا. لا أَحَدٌ يَرْضَى أَنْ يُعْطَيْنَا غُرْفَةً وَاحِدَةً سَيِّدِي! إِنَّهُمْ لَا يَرِيدُونَ مَدْرَسَةً هُنَا، لَقَدْ أَوْضَحُوا ذَلِكَ مَرَّاتٍ عَدَّةً، إِذْ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ يَرُونَ فِي التَّعَلُّمِ مُضِيعَةً لَأَوْقَاتِ الْأَوْلَادِ الَّذِينَ يَعْتَقِدُونَ بِأَنَّ عَلَيْهِمْ إِزْجَاءَ الْوَقْتِ فِي عَمَلٍ نَافِعٍ مُفِيدٍ بَدَلًا مِنَ اللَّهْوِ الدِّرَاسِيِّ! وَبِأَنَّهُ حَرِيٌّ بِهِمْ أَنْ يَسَاعِدُوا آبَاءَهُمْ فِي الْحَقُولِ وَرَعِي الْمَاشِيَةِ - لَكِنَّ السَّيِّدَ «شَادِرِي عَلِي مُحَمَّد» الزَّعِيمَ.. هُوَ الْوَحِيدُ الَّذِي يَنْظُرُ إِلَيْنَا بِعَيْنِ التَّفَهُيمِ وَالْعُطْفِ يَا سَيِّدِي! إِنَّهُ يَدْرِكُ الْأَهْمِيَّةَ الْقُصْوَى لِلتَّعْلِيمِ، إِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ تَأْمِينَ غُرْفَةٍ لَنَا أَوْ حَتَّى قِطْعَةً أَرْضٍ، لَكِنَّهُ مَنْحَنَا ظِلَّ شَجَرَةِ الشَّيْشَامِ الَّتِي يَمْلِكُهَا لِتَنْفِيَّاهُ طَوَالَ الْمَوْسَمِ، حَتَّى حَلَّ أَوَانُ حَرْثِ أَرْضِهَا، وَهَذَا نَحْنُ هَذَا الْمَوْسَمُ

(7) كيف تصف مستوى المدرسة؟ وكيف تصف إحساس المفتش؟

نستخدم حقل القصب الذي يملكه.

- جميل أن قام بإخلاء وسط الحقل وإعداده لكم.

- نعم، سيدي، جميل أن يسمح لنا بتنظيف وسط الحقل، لقد قُمتُ والأولاد بجني القصب في هذه البقعة، سيدي، واستغرق العمل منا أياماً ثلاثة، حتى طلبتُ الفصل الأول عملوا معنا بكل دأب من الثامنة صباحاً حتى صلاة المغرب، وبعدها كان لزاماً أن نتوقف عن العمل لحلول الظلام. وكنا نربط المحصول في حزم نُحملها على عربة السيّد «شادري» التي كانت تجرّها العجول. لقد قال السيّد «شادري» إن علينا أن نُثمن التعليم، ونقدّره، فكانت تلك هي الطريقة الوحيدة لإثبات ذلك.

وخلع معلّم الصبيان عمامته البيضاء فبدا أعلى رأسه وقد توسّطت بقعة صلعاء شعره المطليّ بالحناء، كانت ثمة دموع تترقرق في مقلتيه، وتغيّر صوته لوهلة فبدا أجشّ بعض الشيء متهدّجاً.

- لقد فقدت شعري لكثرة ما حملتُ على رأسي من رزم القصب.

واعتمر عتمته ثانية، ثم نظر إلى البعيد مُشبحاً ببصره، وشرعاً يمشيان جنباً إلى جنب؛ مُفتّش المَدارس ومُعلّم الصبيان الذي كان يسير في خطى غير مستقيمة⁽⁸⁾.

(8) من هذا الحوار:
كيف تصفُ المعلّم
وتلاميذه؟

- سيدي! فقط لو كان لدينا غرفة، غرفة واحدة فقط!.. قال المعلّم في نبرات هادئة، فإن لم تكن غرفةً فقطعةً صغيرةً من الأرض وسوف نبنيها. الأولاد وأنا. قد يستغرق الأمرُ فصلاً كاملاً. لكننا سننجز ذلك إن شاء الله.

ومضى مُفتّش المَدارس في طريقه قُدماً دون أن ينبس ببنت شفة.

- أعلم، سيدي، أنني قد أكون مغالياً بطلبِ رقعة أرض، وبأنه لا أحد

يرغبُ في وجودِ مدرسةٍ هنا، ولكنني أرحبُ بإعطائنا أرضاً في أيِّ مكانٍ كان... هناك أرضٌ في الناحيةِ المهجورةِ من القريةِ سوفَ أكونُ سعيداً بإنشاءِ مدرسةٍ هناك، سيّدي هذا أفضلُ من.....

(9) إلام تشيرُ هذه العبارة؟

لكنَّ مُراقِبَ المدارسِ كانَ يلوذُ بالصّمتِ! صمّتْ مُطِيقُ رهيبٌ! يكادُ يرى الاقتراحَ يُرفضُ⁹.... هو واثقٌ من ذلك؛ إذ إنّ الحكومةَ لم تكنْ تسمحُ بتخصيصِ أرضٍ لمدرسةٍ ابتدائيةٍ. كانَ على الناسِ أنْ يقوموا بتأمينِ ذلك، فكيفَ سيتغيّرُ ذلك الآن؟ القانونُ هو القانونُ. وتنهّدُ في حَسرةٍ.. قطعةُ أرضٍ صغيرةٌ.. ثمَّ؟.. كمّ من المعلمينَ كانوا بمثلِ إخلاصِ هذا المعلّمِ وتفانيهِ! كمّ منهمَ كانَ يهتمُّ بذلك؟ وكمّ منهمَ كانَ بإمكانهِ مواجهةَ لامبالاةٍ كهذه؟ كلّاً لم يستطعِ استرجاعَ حالةٍ واحدةٍ طيلةَ سنيِّ عملهِ الثلاثِ.

وركبَ سيارتهِ الجيبَ، وردَّ سلامَ المعلّمِ البشوشِ بإيماءةٍ من يدهِ قبلَ أنْ تنهبَ عربتهُ الطريقَ.. لم يستطعْ.. كلّاً، لم يستطعْ مواجهةَ نظراتِ الرّجلِ المتوسّلةِ¹⁰.

(10) كيفَ تتخيّلُ شعور المفتش عند هذه اللّحظة؟



العباءة عائشة خلف الكعبي

هكذا ابتدأت الحكاية..

ذات مساءً منعني ضرسٌ عنيدٌ -أبي أن يرتضي الخلع مصيراً- من العودة إلى المنزل باكراً. ما إن أنسل المريض الأخير خارجاً من العيادة مُسنداً وجهه إلى راحة كفه حتى قفزت من مقعدي، وتناولت حقيبتني، وصحبت بها مودعةً، وأنا أهم بالخروج:

- «ليلةٌ سعيدة، دكتوراً».

استوقفني نداؤها، فأقبلت عائدةً، ودلفت إلى غرفتها حيث كانت هي أيضاً تستعد للخروج، خلعت معطفها، وانحنت لتلقط كيساً، دسسته تحت المنضدة، وسلمتني.

- «ما هذا؟» سألت، وأنا أحشُر يدي في جوفه.

- «عباءة».

انداحت قطعةٌ حريريةٌ لامعةٌ السواد، بسطتها في مواجهتي مُمسكةً بها من موضع المنكبين، فأنسدلت بين يدي كأجملِ عباءة، رأتها عيني، يتوسط صدرها (بروش) فضيٌ هلالِي الشكل مُرصعٌ بأحجارٍ من الفيروز، وتمتد أسفلهُ على شكلِ مروحةٍ يدويةٍ مقلوبةٍ قطعة (دانيل) فاخرة، حيكت على شكلِ كسراتٍ، تتسع مع انحدارِ العباءة، وتنفرش في نهايتها، كأنها ذيلُ حوريةٍ بحرٍ، انبجست من إحدى الأساطير.

- «ابتعتها في مناسبةٍ زفافٍ، ولكنني لم أرتدها منذ ذلك اليوم، فقد زاد وزني كثيراً مع الحمل كما ترين، ورأيت أنها قد تناسبكِ أرجو أن تقبليها مني».

- «إنها جميلةٌ، إنما لا أظنني في حاجتها، فأنا لا ألبس العباءة».

- «ولم لا؟!».

قالت جملتها تلك وابتسمت؛ وهي تُربّت على يدي القابضة على العباءة، فبادلتها الابتسامة

«عُرْفَةُ القياس 93، الطبعة الأولى، دائرة الثقافة والإعلام في الشارقة 2007 م.

وشكرتها، ثم حملت هديتي وغادرت المكان.

أَوَّلُ مَا فَعَلْتُهُ حِينَ أَغْلَقْتُ بَابَ غُرْفَتِي عَلَيَّ هُوَ أَنَّنِي قُمْتُ بِتَجَرِّيْهَا، شَهَقْتُ حِينَ وَقَعَ بَصْرِي عَلَى انْعِكَاسِ صُورَتِي فِي الْمِرْآةِ! لَكَّأَنَّهَُا فُصِّلَتْ لِي! دُرْتُ حَوْلَ نَفْسِي مَرْهُوَّةٌ بِجَمَالِ مَظْهَرِي الْجَدِيدِ، وَأَنَا أَتَمِّمُ عَلَى رَأْيِ الدُّكْتُورَةِ:

- «ولم لا؟!».

سَحَبْتُ (الشَّيْلَةَ) مِنَ الْكِيسِ، وَقَدْ أَطَّرْتُ أَطْرَافَهَا بِقِطْعَةٍ (الدَّانِيَلِ) نَفْسِهَا، وَرُصِّعْتُ إِحْدَى زَوَايَاهَا بِ(الْبُرُوشِ) الْفُضِّيِّ نَفْسِهِ الَّذِي تَوَسَّطَ صَدْرَ الْعِبَاءَةِ، وَضَعْتُهَا عَلَى رَأْسِي، وَاسْتَدْرْتُ، لِأُلْقِي نَظْرَةً عَلَى الْمِرْآةِ، وَلَفَرْتُ جَمَالاً مَا رَأَيْتُ قَرَّرْتُ أَنْ أَزْنِيهَا صَبَاحَ الْيَوْمِ التَّالِي.

فَجَاءَ..

جَحَظْتُ عَيْنَايَ حِينَ لَمَحْتُ طَرَفَ حِذَاءِ (التَّنِيسِ) الْأَبْيَضِ يُطِلُّ كَجُرْدِ سَمِينٍ مِنْ تَحْتِ الْعِبَاءَةِ، نَسَلْتُهُ مِنْ قَدَمَيَّ مِنْ فَوْرِي، وَهَرَعْتُ إِلَى صَفٍّ مِنَ الْأَخْذِيَةِ خَلْفَ الْبَابِ، أَنْبَشُ عَنْ حِذَاءٍ، يَلِيقُ بِفَخَامَةِ الْمَحْرُوسَةِ، فَلَمْ أَجِدْ سِوَى أَخْذِيَةِ خَفِيفَةٍ مِنْ ذَلِكَ الصَّنْفِ الَّذِي تَرْتَدِيهِ الْمُمَرِّضَاتُ، وَبَعْضُ الصَّنَادِلِ الصَّيْفِيَّةِ.

يَا لَبُؤْسِي!

أَنَا فَتَاةٌ لَا تُحْسِنُ الْاهْتِمَامَ بِمَظْهَرِهَا، لَكِنَّ هَذَا سَيَتَغَيَّرُ مِنَ الْآنَ، وَيَجْدُرُ بِي أَلَّا أَتَعَجَّلَ اِرْتِدَاءَ هَذِهِ الْقِطْعَةِ الْفَنِيَّةِ حَتَّى أَتَمَكَّنَ مِنْ جَمْعِ الْكَمَالِيَّاتِ الْمُلَائِمَةِ لَهَا.

بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ عُدْتُ أَحْمِلُ عُلْبَةَ حِذَاءٍ جَدِيدٍ، وَبِسُرْعَةِ الْبَرْقِ أَخْرَجْتُ الْعِبَاءَةَ مِنْ كَيْسِهَا الْمَخْبُوءِ بِعِنَايَةٍ فِي الدُّوَلَابِ، اِرْتَدَيْتُهَا مِنْ فَوْرِي، ثُمَّ تَنَاوَلْتُ الْحِذَاءَ الْجَدِيدَ مِنْ عُلْبَتِهِ، وَدَسَسْتُهُ بِكُلِّ رِفْقٍ فِي قَدَمِي، وَأَنَا مَا أَزَالُ أَتَأَمَّلُ جَمَالَهُ، ابْتَسَمْتُ قَانِعَةً بِاخْتِيَارِي الْمَوْفِقِ، فَقَدْ بَدَأَ الْحِذَاءُ الْأَسْوَدُ ذُو الرِّبْطَةِ الْفُضِّيَّةِ مُتَنَاسِقًا وَتَصْمِيمَ الْعِبَاءَةِ.

أَخَذْتُ أَذْرُعَ الْغُرْفَةِ، وَرَأْسِي يَتَلَفَّتُ إِلَى الْمِرْآةِ، صَغَطَ الْحِذَاءُ عَلَى قَدَمِي، وَكَأَدُ يُفْقِدُنِي تَوَازُنِي فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ، إِلَّا أَنَّنِي أَقْنَعْتُ نَفْسِي بِأَنَّهَا مَسْأَلَةٌ سَاعَتَاذُهَا كُونِي لَا أَحْبِذُ اِرْتِدَاءَ هَذَا النَّوعِ مِنَ الْأَخْذِيَةِ الْعَالِيَةِ.

اعتراني شعورٌ بالقلق، وأنا أحفظُ الحِذاءَ إلى جانبِ العِباءةِ في الرُّكنِ الأسفلِ من الدُّولابِ. لقد أنفقتُ كُلَّ ماتبقى من راتبي ثمنًا لهذا الحِذاءِ، لكنني عُدْتُ فطمانتُ نفسي، مُتعلِّلةٌ بالأيامِ الخمسةِ المُتبقيةِ على انتهاءِ الشَّهرِ.

بعدَ أسبوعٍ وَلَجْتُ إلى غُرَفَتِي، وأنا أَتَابُطُ كِيسًا وَرَقِيًا مُنْفَخًا، أَلْقَيْتُ بِهِ عَلَى السَّرِيرِ، وَعَمَدْتُ إِلَى دُولَابِي، أَسْتَخْرِجُ مِنْهُ العِباءةَ والحِذاءَ، لَيْسْتُ العِباءةَ وانتعلتُ الحِذاءَ، ثُمَّ التَّقَطْتُ الكِيسَ، وَأَخْرَجْتُ مِنْهُ الحَقِيبةَ الجَدِيدَةَ الَّتِي ابْتَعْتُهَا، لِأَجْلِ العِباءةِ، صَحْتُ وَأَنَا أَتَمَلَى مَظْهَرِي فِي الْمِرَاةِ:

- «أَيُّ تَنَاعُمٍ هَذَا؟! لَمْ أَكُنْ أَحْلُمُ بِالْعُثُورِ عَلَى حَقِيبةٍ تُناسِبُهَا إِلَى هَذِهِ الدَّرَجَةِ!».

كَانَتْ الحَقِيبةُ مخمليةً سوداءَ بكسراتٍ، رُفٌّ مَتَّصِفُهَا بهلالٍ فضيٍّ.

بِاقْتِنَاءِ هَذِهِ الحَقِيبةِ أَكُونُ شَبَهَ مُسْتَعِدَّةٍ للخروجِ إِلَى النَّاسِ بِحُلَّتِي الجَدِيدَةِ.

دَنَوْتُ مِنَ الْمِرَاةِ أَكْثَرَ، وَأَخَذْتُ أَحَدَ قُفُوفِهَا، وَأَصَابِعِي تَتَخَلَّلُ خُصَلَ شَعْرِي الذَّهَبِيَّةِ الْمُجَعَّدَةِ، عَزَمْتُ أَمْرِي، وَأَخَذْتُ أَنْزَعُ مُقْتِنَاتِي الثَّمِينَةَ، وَأُعِيدُهَا بِحِرْصٍ إِلَى مَخْبِئَتِهَا فِي الدُّولَابِ.

فِي ظَهْرِ الْيَوْمِ التَّالِي عُدْتُ، وَأَنَا فِي شَوْقٍ إِلَى (الْبُرُوفَةِ) النَّهَائِيَّةِ، فَقَدْ عَمِلْتُ طِيلَةَ الْفَتْرَةِ الْمُنْصَرِمَةِ عَلَى تَجْمِيعِ التَّفَاصِيلِ الَّتِي تُكَوِّنُ هَذِهِ الطَّلَّةَ الجَدِيدَةَ، وَكَانَها أَحْجِيَةُ الصُّورَةِ الْمُقَطَّعَةِ الَّتِي كَانَ عَلَيَّ أَنْ أُعِيدَ تَرْتِيبُهَا، لِتَتَجَلَّى أَمَامِي الصُّورَةُ كَامِلَةً.

لَيْسْتُ العِباءةَ، وَانْتَعَلْتُ الحِذاءَ، وَحَمَلْتُ الحَقِيبةَ، رَبَّتْ خُصَلَ شَعْرِي الْأَسْوَدِ النَّاعِمِ فِي انْخِسَابٍ مَائِلٍ عَلَى جَبِينِي، وَصَغَتْ الْأَقْرَاطُ الْفُضِّيَّةُ الَّتِي اسْتَعْرَتْهَا مِنْ شَقِيقَتِي الْكُبْرَى، وَبَسَطَتْ ظِلَّ الْعُيُونِ الْفَيْرُوزِيِّ عَلَى جَفْنِي الْعُلُويِّ، وَرَسَمْتُ خَطًّا فَضِيًّا أَسْفَلَ الْعَيْنَيْنِ.

- «هَذِهِ أَنَا؟!».

هَذَا الْمَسَاءَ..

سَيَسْطَعُ نَجْمِي، سَيَتَعَجَّبُ النَّاسُ مِنْ فَتَاةٍ مُتَأَلِّقَةٍ مِنِّي فِي عِيَادَةِ حَقِيرَةٍ كَهَذِهِ. أَجَلْ. سَأَذْهِبُهُمْ جَمِيعَهُمْ هَذَا الْمَسَاءَ.

هذا المساء... أرتمي على سريرِي، يَغْلُو نُواحِي كُلِّمَا وَمَضَ رَقْمُ الْعِيَادَةِ عَلَى شَاشَةِ هَاتِفِي
المَحْمُولِ، وَإِلَى جَوَارِي عَبَاءَةٍ مُلْقَاةٍ، يَتَوَسَّطُهَا خَرْقٌ تَفَحَّمَتْ أَطْرَافُهُ فِي حَجْمِ مِكْوَاةٍ
كَهْرَبَائِيَّةٍ.

قصة العم خشبة

مريم الساعدي

تتحول الأجساد إلى أخشاب إذا لم تتحرك، وبما أنه لم يتحرك منذ عرفناه، فقد صار خشبة، ندعوه: عمنا الخشبة، والكبار يصرخون بوجوهنا معنفين، ودائمًا يرددون "الأطفال قساة". وقد كنا كذلك.

عمنا الخشبة يسكن في البيت المقابل مع الجدّة... أمّه، وعرفنا أن جدّتنا هي الأم للعم، وأدركنا أنه -حتى الأخشاب- تكون لها أمّهات، كنا نتعلم كثيرًا، حسب ما يحلو لنا.

غرفته بيضاء، جدرانها والسريّر، وكل شيء، سوى عينيّه الحمرّوين، ووجه أمّه البنيّ المجعد، وكنا نضحك على وجهها، وظهريّ المنحني من كثرة الهمس مع الخشبة.

وبما أنه كان جسدًا أفقيًا ثابتًا، وكانت هي جسدًا عموديًا متحركًا صار لأبد أن ننحني كثيرًا حتى نحدّثه.. نسمع ما يقول.. نطعمه.. نغسل وجهه.. نُمسّط شعره.. نُنظّف ما بين أصابعه.. خلف رقبته.. تحت ذراعيه... كل مكان. وكنا ننتظر خارجًا حتى تنتهي، ونقول: هذا وقت استحمام عمكم... ونندّش... حتى الأخشاب تستحم!..⁽¹⁾

ويحصل أن ندخل فنراه صامتا، يفتح عينيّه، ويغلقهما... ينظر للأعلى وللأسفل... ويكرّر ذلك مرارًا، دون أن يلتفت إلينا. وحين تَرانا العجوز تُشير إلينا بالصمت... فالعم يُصلي... ونندّش.. حتى الأخشاب تُصلي!

وبداية كل شهر كانت حفلة لنا، نزوره كلنا، نحن -الأطفال القساة- أبناء الإخوة والأخوات، وحين ندخل يفرح دون أن يتحرك، فقط يفرح بعينيّه، ويتحدّث عن أيامه عندما كان بحجمنا، ونضحك، وننصّره

* من المجموعة القصصية «مريم والحظ السعيد» - صادرة عن هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث / 2009.

خَشَبَةٌ صَغِيرَةٌ مُسَطَّحَةٌ، وَنَقُولُ: حَتَّى الْأَخْشَابُ تَكْبُرُ!

لَمْ نَكُنْ نَشْعُرُ بِالْحُزْنِ عَلَيْهِ، تَصَوَّرْنَا أَنَّ الْبَشَرَ قِسْمَانِ: قِسْمٌ يَتَحَرَّكُ مِثْلَنَا، وَقِسْمٌ مُتَخَشَّبٌ مِثْلُهُ. قَالُوا: كَانَ شَابًّا طَيِّبًا، وَشَهْمًا، مَاذَا تَعْنِي "شَهْمًا"؟
قَالُوا: لَمْ يَكُنْ مَا فِي جَنِيهِ مِثْلَكَ لَهُ، وَهَذَا مَا كَانَ يَهْمُنَا؟⁽²⁾

(2) ما دلالة ما تحته
خط على شخصية
الأطفال؟

لَمْ نَكُنْ نَتَحَدَّثُ مَعَهُ، كَانَ فَقَطْ هُوَ مَنْ يُحَدِّثُنَا، وَإِذَا تَحَدَّثْنَا أَجَبْنَا بِاقْتِضَابٍ "نَعَمْ .. حَاضِرٌ .. لَا" وَكُنَّا نَجْلِسُ بِسَامٍ، مُتَمَلِّمِينَ، نَحْرُكُ أَقْدَامَنَا، وَأَحْيَانًا نُفَرِّقُ أَصَابِعَنَا، أَوْ نَفْرُكُ أَعْيُنَنَا ... نَتَشَاءُ ... نَفْتَحُ أَفْوَاهَنَا لِأَخْرِهَا "نَتَشَاءُ" وَهُوَ يَوَاصِلُ أَحَادِيثَهُ، عَنْ كَيْفَ بَدَأَ حَيَاتَهُ، وَأَيْنَا كَانَ أَقْرَبَ شَبَهًا بِهِ، أَوْ عَنْ ذِكْرِيَاتِهِ مَعَ إِخْوَتِهِ ... أَبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا وَمَاذَا تَمَنَّى أَنْ يَكُونَ حِينَ يَكْبُرُ؟ وَكَمْ تَمَنَّى أَنْ يَكُونَ ضَابِطَ شُرْطَةٍ ... وَكَيْفَ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ أَنَّهُ سَيَتَحَوَّلُ إِلَى خَشَبَةٍ، "كَمَا تُسَمُّونِي أَنْتُمْ .. خَشَبَةٌ" ... يَتَطَلَّعُ إِلَيْنَا، وَيَضْحَكُ، وَنَتَطَلَّعُ إِلَى تَحْتِ الْمِخْدَةِ ... وَنَتَشَاءُ.⁽³⁾

(3) ما الذي كان يحدث
به خَشَبَةُ الأطفال؟
وكَيْفَ كَانَ الأطفال
يقابلون حديثه؟

فِي كُلِّ شَهْرٍ يُعِيدُ الْحَكَايَا نَفْسَهَا، وَنَتَطَلَّعُ بِمُنْتَهَى الصَّبْرِ وَالْغَيْظِ لَانْتِهَاءِ الزِّيَارَةِ لِلْخَشَبَةِ الثَّرَاءَةِ. نُحَدِّقُ فِي عَيْنَيْهِ الْحَمْرَاوِينَ كُلَّمَا حَرَّكَهُمَا بِاتِّجَاهِ الْجِدَّةِ ... الْآنَ سَيَتَوَقَّفُ عَنِ الْكَلَامِ ... الْآنَ سَيُشِيرُ عَلَيْهَا أَنْ تُخْرِجَهَا مِنْ تَحْتِ الْمِخْدَةِ، الْمَحْفَظَةُ السَّوَدَاءُ أَجْمَلُ مَا فِي الْوُجُودِ، إِنَّهَا كَثَرْنَا الشَّهْرِيُّ الْمَوْعُودُ.

لَمْ يَكُنْ غَنِيًّا، كَانَتْ - فَقَطْ - نُقُودَ الْإِعَانَةِ الشَّهْرِيَّةِ الَّتِي تَصْرِفُهَا لَهُ الدَّوْلَةُ، وَنَادِرًا مَا كَانَ يَشْتَرِي بِهَا أَشْيَاءَ لِنَفْسِهِ ... "نَفْسِهِ؟" ... لَمْ نَتَصَوَّرْ أَنَّ لَهُ نَفْسًا أَصْلًا، أَرَدْنَا كُلُّ النُّقُودِ لَنَا. وَحِينَ تَرَى الْعَجُوزَ وَقَدْ اسْتَبَقَتْ بَعْضَ الْأَوْرَاقِ فِي الْمَحْفَظَةِ نَشْعُرُ بِالْغَيْظِ ... مَا عَسَاهُمَا يَقْلَعَانِ بِالْمَالِ !!
إِنَّهَا رِحْلَةٌ شَهْرِيَّةٌ مُتَعَبَةٌ وَمُرِيحَةٌ ... تَعْلَمُنَا حِينَهَا أَنَّ النُّقُودَ لَا تَأْتِي إِلَّا مِنْ
خِلَالِ سُبُلٍ مُتَعَبَةٍ.⁽⁴⁾

(4) هل ترى أنَّ الجلوس
مع خَشَبَةٍ للحصول
على المال أمر
مُتَعَبٌ فعلاً؟ علّق
على رأي الطفل فيما
تحته خط؟

حِينَ رَحَلَ شَعَرْنَا بِالْحُزْنِ الشَّدِيدِ، وَبَكَيْنَا كَثِيرًا ... كَثِيرًا جَدًّا، عَلَى فِرَاقِ تِلْكَ الْمَحْفَظَةِ السَّوَدَاءِ لِلْأَبَدِ.

اليوم... حينَ مررتُ على البيوتِ القديمة، رَغِبْتُ بِدُخُولِ مَنْزِلِ الْعَمِّ⁵
"خشبة"، لَكِنَّهُ أَصْبَحَ يَسْكُنُهُ أَغْرَابٌ، فَانْتَفَيْتُ بِالْفُرْجَةِ عَلَيْهِ مِنْ بَعِيدٍ...
مِنَ الْخَارِجِ... صِرْتُ أَشْتَهِي الدُّخُولَ، وَأَتَذَكَّرُ حِينَ كُنْتُ فِي الدَّاخِلِ
وَبَصْرِي مُعَلَّقٌ بِالنَّافِذَةِ أَشْتَهِي الْخُرُوجَ.

أَوْدُ لَوْ يَعُودُ؛ لِأَسْتَمِعَ لَهُ أَكْثَرَ؛ وَلَأُنْصِتَ بِاهْتِمَامٍ لِكُلِّ مَا يَقُولُ؛ وَلَأُجِيبَهُ
بِإِسْهَابٍ عَنْ كُلِّ مَا يَسْأَلُ؛ وَلَأُضْحَكَ حِينَ يَضْحَكُ؛ وَلَأُطْعِمَهُ بِيَدِي،
وَعَيْنَا الْجَدَّةِ تُرَاقِبُ أَطْبَاقَ الطَّعَامِ لَهُ، لَيْتَهُ يَعُودُ؛ لِأَجْلِبَ لَهُ مَعِيَ فِي
كُلِّ زِيَارَةٍ بَاقَةَ وَرُودٍ وَحُفْنٍ طِينٍ وَأَوْرَاقَ شَجَرٍ؛ لِأُحْضِرَ لَهُ مَعِيَ رَائِحَةَ
الشَّمْسِ وَالْهَوَاءِ وَالْمَطَرِ... رَائِحَةَ الْقَمَرِ وَالنُّجُومِ وَالسُّحُبِ؛ لِأَفْتَحَ لَهُ
النَّوَافِذَ، وَأَحْكِي لَهُ حِكَايَا الْعَالَمِ الْخَارِجِيِّ؛ لِأَرْسُمَ لَهُ الدُّنْيَا بِكُلِّ أَلْوَانِهَا
وَصَخَبِهَا؛ وَلَأُغَادِرَ عُرْفَتَهُ... دُونَ نُقُودٍ.⁵

(5) بِرَأْيِكَ إِلَى مَاذَا تَرُمُزُ
كُلَّ هَذِهِ التَّفَاصِيلِ
الَّتِي سَرَدْتُهَا
الْكَاثِبَةُ؟



الحِصَالَةُ

د. أحمد زياد محبّك

شهرٌ كاملٌ، وعشرةُ أيامٍ، شهرٌ طويلٌ، وعشرةُ أيامٍ أطولٌ مضتْ وخالدٌ يُصبرُ نفسه، في كلِّ يومٍ يُلقِي قطعاً نقديةً صغيرةً في حِصَالَتِهِ الفَخَّارِيَّةِ، لَا يُنفِقُ شيئاً، وَلَا يَشْتَرِي شيئاً، إِلَّا مَا كَانَ ضَرُورِيّاً، حَتَّى يَوْفَرَ الْمَبْلَغُ الْأَكْبَرُ، وَفِي كُلِّ يَوْمٍ يُلقِي فِيهَا قِطْعَةً، يُرْجُهَا، وَيُنصِتُ إِلَى صَوْتِهَا، وَيَتَحَسَّسُ بِيَدَيْهِ ثِقَلَهَا، وَقَدْ أَخَذَتْ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ تَرْدَادُ وَزْنَ، فَيَحْلُمُ بِهَا وَقَدْ امْتَلَأَتْ.^١

(١) كَيْفَ تَصِفُ عِلَاقَةَ
خَالِدٍ بِحِصَالَتِهِ؟

وَمَعَ كُلِّ يَوْمٍ، كَانَ حُلْمُهُ يَكْبُرُ، وَيَزْدَادُ قُرْبًا، حَتَّى لَيْخَسِبَهُ قَدْ تَحَقَّقَ. وَكَانَ أَوَّلُ مَا حَلَّمَ بِهِ هُوَ دَرَاجَةٌ، كَانَ يَتَصَوَّرُهَا فِي الْبَدءِ مُجَرَّدَ دَرَاجَةٍ، لَكِنْ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ، أَخَذَتْ مَلَامِحُهَا تَتَضَحُّ، وَتَفَاصِيلُهَا تَتَحَدَّدُ، فَقَدْ أَخَذَ يَتَصَوَّرُ عَجَلَتَيْهَا، وَمَقَوَّذَهَا، وَهَيْكَلَهَا، وَمَقْعَدَهَا، ثُمَّ أَخَذَ يَتَخَيَّلُ إِطَارِي الْعَجَلَتَيْنِ، وَيَتَخَيَّلُ مَا عَلَى الْمَقَوَّذِ مِنَ الْمِصْبَاحِ، وَمِزْمَارٍ، وَمِزَاتَيْنِ جَانِبِيَّتَيْنِ، ثُمَّ تَطَوَّرَتِ الصُّورَةُ؛ فَهَا هُوَ ذَا يَرَى الْمُؤَلَّدَ الصَّغِيرَ الْمُعَلَّقَ عَلَى الْعَجَلَةِ الْخَلْفِيَّةِ، وَالْمِصْبَاحَ الْأَحْمَرَ، وَالرِّيشَ الْمُلَوَّنَ بِالْأَخْضَرِ وَالْأَصْفَرِ، فِي مَقَوَّذِهَا، وَهُوَ يَنْطَلِقُ بِهَا إِلَى حَيْثُ يَشَاءُ، وَالنَّاسُ يَسِيرُونَ عَلَى الرَّصِيفَيْنِ وَهُوَ يَسْتَخْدِمُ الْمِزْمَارَ، وَيَضِيءُ الْمِصْبَاحَ، فَيَفْرُشُ الطَّرِيقَ بِالنُّورِ أَمَامَهُ، وَأَكْثَرُ مَا كَانَتْ مِثْلُ هَذِهِ الصُّورَةِ تُرَاوِدُهُ فِي الْمَسَاءِ، حِينَ يَأْوِي إِلَى فِرَاشِهِ، فَيَعِيشُهَا فِي مُخَيَّلَتِهِ سَعِيدًا، قَبْلَ أَنْ يَغْفُو، ثُمَّ يَسْتَسْلِمَ لِلنَّوْمِ، وَهُوَ يَحْلُمُ بِهَا، وَمَا يَلْبَثُ أَنْ يُحِسَّ بِهَا فِي الصَّبَاحِ الْبَاكِرِ، فِي أَوَاخِرِ نَوْمِهِ، فَيُبَيِّنُ أَنْ يَسْتَيْقِظَ، حَتَّى لَيْشَعُرَ بِأَنْسِيَابِهَا الرَّخِيمِ الْهَادِي، وَهِيَ تَنْطَلِقُ بِهِ فِي كُلِّ الْأَرْجَاءِ، وَيَسْتَيْقِظُ، فَيَسْرِعُ إِلَى حِصَالَتِهِ، يَتَحَسَّسُ ثِقَلَهَا، وَيُنصِتُ إِلَى صَوْتِهَا.

وَجَاءَ الْيَوْمُ الَّذِي قَرَّرَ فِيهِ كَسْرَهَا، فَقَدْ أَزْدَادَتْ ثِقَلًا، وَإِنْ كَانَتْ فِي الْحَقِيقَةِ لَمْ تَمْتَلِئْ، فَلَمْ يَبْقَ لَهُ مِنَ الصَّبْرِ شَيْءٌ، وَبِضْرْبَةٍ خَفِيفَةٍ مِنَ

المِطْرَقَةِ، انْفَلَقَتْ مُنْشَطِرَةً إِلَى نِصْفَيْنِ، وَانْدَلَقَتْ مِنْهَا النُّقُودُ، مُتَدَفِّقَةً، وَتَدَخَّرَتْ مِنْهَا بَعْضُ الْقِطْعِ النَّقْدِيَّةِ، وَتَفَرَّقَتْ فِي أَرْضِ الْغُرْفَةِ، تَحْتَ الْأَثَابِ، فَلَا حَقَّ إِحْدَاهَا وَهِيَ تَفِرُّ مِنْ يَدَيْهِ، رَاكِضَةً، لِتَسْتَقِرَّ تَحْتَ السَّرِيرِ، بَعْدَ دَوْرَاتٍ صَغِيرَةٍ، رَسَمَتْهَا عَلَى الْأَرْضِ.

عَادَ إِلَى الْحَصَالَةِ، وَالنُّقُودُ مُنْثَالَةً مِنْهَا، فَأَخَذَ يَجْمَعُهَا وَيَضُمُّهَا بَيْنَ يَدَيْهِ، وَأَخَذَتْ صَوْرَةُ الدَّرَاجَةِ تَوِمُّضُ فِي ذَهْنِهِ، لَكِنَّهُ مَا عَادَ يُنَاحُ لَهُ أَنْ يَتَأَمَّلَهَا، فَمَا هِيَ بِالْوَاضِحَةِ، وَالْمَالُ بَيْنَ يَدَيْهِ يَشْغَلُهُ عَنْهَا، وَعَلَيْهِ أَنْ يَعُدَّهُ، هَا هُوَ ذَا يَضْطَرُّبُ، وَيُخْطِئُ فِي الْعَدِّ، وَيُعِيدُهُ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ، وَيَوْرُغُ النُّقُودَ عَلَى فِئَاتٍ، وَيُفَكِّرُ فِي نُزُولِهِ إِلَى السُّوقِ، مَعَ أَبِيهِ؛ لِشِرَاءِ الدَّرَاجَةِ.

جَمَعَ النُّقُودَ فِي قِطْعَةٍ فُماشٍ صَغِيرَةٍ، لَفَّهَا بِهَا، ثُمَّ رَجَا أُمَّهُ أَنْ تُعْطِيَهُ شَيْئًا مِمَّا يَتَوَقَّعُ أَنَّهَا تَدَّخِرُهُ؛ لِیَسْتَكْمِلَ ثَمَنَ الدَّرَاجَةِ، وَلَمْ تَبْخُلْ عَلَيْهِ أُمُّهُ بِمَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تُقَدِّمَهُ لَهُ، وَلَكِنْ كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَنْتَظِرَ حَتَّى يَجِيءَ وَالِدُهُ إِلَى الْبَيْتِ، مَعَ آخِرِ النَّهَارِ.²

(2) ما مَوْفَقُ أُمِّ خَالِدٍ مِنْ شِرَاءِ وَلَدِهَا الدَّرَاجَةَ؟ وَمَا ذَلِكَ عَلَى ذَلِكَ؟

وَلَمْ يَذِرْ فِي الْمَسَاءِ كَيْفَ التَّهَمَ بَعْضُ اللَّقِيمَاتِ عَلَى عَجَلٍ، مَعَ أَبِيهِ وَأُمِّهِ وَإِخْوَتِهِ الصَّغَارِ، مُكْتَفِيًا بِكِسْرَةِ خُبْزٍ، وَبَعْضِ حَبَاتٍ مِنَ الزَّرِّيْتُونِ، حَتَّى كَأَسِ الشَّاي لَمْ يَذِرْ كَيْفَ اخْتَسَاها، وَهُوَ يَطْلُعُ إِلَى أَبِيهِ، مُتَظَنِّراً أَنْ يَنْتَهِيَ مِثْلَهُ مِنَ الْعِشَاءِ سَرِيعًا، مُتَلَهِّفًا، لِيُغْلِنَ لَهُ عَنْ رَغْبَتِهِ، وَهُوَ يُفَكِّرُ بِمَوَافَقَتِهِ، أَوْ رَفْضِهِ، وَكَيْفَ يُمَكِّنُهُ أَنْ يَقْنِعَهُ إِنْ لَمْ يُوَافِقْ، وَمَاذَا سَيَفْعَلُ إِذَا مَنَعَهُ؟!

وَحَانَتْ اللَّحْظَةُ الْمُنَاسِبَةُ الَّتِي عَلَيْهِ فِيهَا أَنْ يَتَحَدَّثَ، فَهَا قَدْ انْتَهَى أَبُوهُ مِنْ ارْتِشَافِ كَأْسِ الشَّايِ الْأَخِيرَةِ، فَشَرَحَ لَهُ رَغْبَتَهُ بِاضْطِرَابٍ، وَسَاعَدَتْهُ أُمُّهُ، ثُمَّ عَرَّضَ عَلَيْهِ الْمَبْلَغَ الَّذِي ادَّخَرَهُ.³

(3) تَحْيَلْ جَوَابَ الْأَبِ حِينَ أَخْبَرَهُ خَالِدٌ بِرَغْبَتِهِ فِي شِرَاءِ الدَّرَاجَةِ.

وَأَنْصَتَ إِلَى جَوَابِ أَبِيهِ، بِضَيْقٍ وَصَمْتٍ، وَلَكِنْ بِتَصَدِيقٍ كَبِيرٍ. ثُمَّ رَجَعَ إِلَى غُرْفَتِهِ حَسِيرًا مُكْتَنِبًا صَامِتًا، فَتَحَ كِتَابَهُ، وَقَعَدَ يَقْرَأُ فِيهِ، وَصُرَّةُ النُّقُودِ أَمَامَهُ، عَلَى الطَّائِلَةِ. وَمَضَى يَتَصَوَّرُ أَبَاهُ، إِنَّهُ مِثْلُ كَثِيرٍ مِنَ الْآبَاءِ، لَكِنْ

لَيْسَ مِثْلَ بَعْضِهِمْ، أَبُوهُ يُحِبُّهُ كَثِيرًا، وَلَا يَمْنَعُهُ مِنْ شِرَاءِ دَرَّاجَةٍ، وَلَا يُرِيدُ مَنَعَهُ، بَلْ يَتَمَنَّاها لَهُ، وَيَحْلُمُ بِأَنْ يَرَاهُ وَهُوَ يَقُودُهَا، لَكِنَّهُ مِثْلُ كَثِيرٍ مِنَ الْآبَاءِ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يُوفِّرُوا لِأَبْنَائِهِمْ كُلَّ مَا يَشْتَهُونَهُ لَهُمْ.

وَشَعَرَ بِحَاجَتِهِ إِلَى أَشْيَاءٍ أُخْرَى كَثِيرَةٍ، أَهَمَّ مِنَ الدَّرَّاجَةِ، وَأَكْثَرَ مِنْهَا صَرُورَةً، وَأَحْسَنَ أَنَّهُ مِثْلُ كَثِيرٍ مِنَ الْوِلَادِ، وَلَيْسَ مِثْلَ بَعْضِهِمْ، فَهُوَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَلْهُوَ وَيَلْعَبَ؛ لِأَنَّ عَلَيْهِ أَنْ يَدْرَسَ وَيَجْتَهِدَ، بَلْ رُبَّمَا كَانَ عَلَيْهِ، فِي وَفْتٍ مُبَكَّرٍ، أَنْ يَعْمَلَ، فِي أَيِّ شَيْءٍ، يُسَاعِدُ وَالِدَهُ.

نَظَرَ إِلَى صُرَّةِ النُّقُودِ، فَتَأَمَّلَهَا لِحِظَةٍ، وَتَرَدَّدَ، ثُمَّ نَهَضَ، وَهُوَ يَحْمِلُهَا، وَخَرَجَ مِنْ غُرْفَتِهِ، مُصَمِّمًا عَلَى فِعْلِ شَيْءٍ، وَحِينَ اتَّقَى بِأُمِّهِ وَهِيَ تَرْفُو بَعْضَ الثِّيَابِ، سَأَلَهَا عَنْ أَبِيهِ، فَأَخْبَرَتْهُ بِأَنَّهُ خَرَجَ، فَتَأَوَّلَهَا صُرَّةُ النُّقُودِ، وَقَالَ لَهَا:

- أَعْطِيهَا لِأَبِي.. حِينَ يَعُودُ.

ثُمَّ رَجَعَ إِلَى غُرْفَتِهِ، وَأَقْفَلَ بِأَبِهَا عَلَيْهِ، وَقَدِ اخْتَفِظَ لِنَفْسِهِ مِنَ الصُّرَّةِ، بِقِطْعَةٍ وَاحِدَةٍ، فَقَطَّ، قَرَّرَ أَنْ يَشْتَرِيَ بِهَا حَصَالَةً جَدِيدَةً، وَيَدْخِرَ فِيهَا ثَانِيَةً قِطْعَ النُّقُودِ، وَأَنْ يَحْلُمَ مِنْ جَدِيدٍ، وَلَكِنْ بِشَيْءٍ آخَرَ، غَيْرِ الدَّرَّاجَةِ.⁴

(4) ماذا يُمكنُ أَنْ يَكُونَ حُلْمُ خَالِدِ الْجَدِيدِ؟
ما الذي يَجْعَلُكَ تَقُولُ ذَلِكَ؟



جدار شريف الجهني

يقف في مواجهتي.. ينظر إلى عيني طويلاً. يقاوم دمة كادت تفر من عينه اليمنى.. يزدرد لعبه وكأنه يحاول أن يتلع الحزن.. يسعل، ثم يعود إلى أريكته يتأمل السقف، هكذا حال والدي المسن منذ شهور، كل يوم يكرر المشهد نفسه أكثر من مرة، (الزهايمر) تملكه في الأسابيع الأخيرة بدرجة كبيرة، منذ أيام زارنا ابن عمي، فسأله والدي عن حاله، وحال والده الذي مات منذ سنين، ثم دلف إلى غرفته، وعاد بعد برهة، وسلم عليه، واحتضنه، وسأله من جديد عن حاله، وحال أبيه.. خلال الساعة التي قضاها ابن العم في منزلنا سلم عليه والدي بالحماس نفسه أكثر من خمس مرات، حتى أبصرت علامات الضجر على وجه الضيف، حزنت كثيراً لما آلت إليه حال أبي، صرت أتمنى له الموت ليستريح.. تلك الأمنية أخجل أنها تسكن صدري، لكنني لم أتمكن من طمسها، زوجتي كانت توليه رعاية خاصة، ولكنها تبدلت كثيراً، حتى أولادي يمرون عليه وكأنه قطعة من أثاث! منذ يومين كان ابني الأكبر يبحث عن (ريموت) التلفاز، فقال لوالدي: قم يا جدي، فربما كنت تجلس عليه، وأمسكه من عضديه وأقامه، وحين وجد (الريموت) مكان جلسته أخذ يتنقل بين محطات التلفاز، وترك والدي واقفاً وجسده يهتز من الوهن، حتى أتت ابنتي وأجلسته برفق، متى تعلمت يا ولدي تلك القسوة؟! منزلنا اليوم يبدو كخلية نحل، فقد انتهى مهندس الديكور من تشطيب (الفيلا) الجديدة بالتجمع الخامس، كنت أعمل أكثر من خمس عشرة ساعة متصلة في اليوم الواحد حتى أسدّد أقساطها، على الرغم من سعادتي بأن أسرتي ستتقل إلى مكان أكثر رحابة، إلا أن تلك الشقة تربطني بها ذكريات العمر.

عزائي الوحيد هو السعادة التي أراها في أعين أولادي وزوجتي، وهم يجمعون الملابس في الحقائب استعداداً للانتقال إلى المنزل الجديد.. حضر العمال، وعمّت الضوضاء المنزل، وفي خلال نصف ساعة كانت الشقة خالية من أي أثاث.. صدمني صوت زوجتي وهي تسأل ابنتي: أين جدك؟ الباب كان مفتوحاً، والكل منشغل عنه، فأجابها ولدي الأكبر بعدم اكتراث: نذهب بالأثاث أولاً (للفيلا) الجديدة، ثم أعود للبحث عنه.

حدجته ابنتي بنظرة غيظ، ثم اتجهت ناحيتي.. مسحت الزجاج أمام عيني بكفها، أنزلتني من

على الجدار، وضعتني تحت إبطها محاطاً بالإطار المذهب، وسارت بي وأنا ألقى نظرتي
الأخيرة على المكان أتأرجح ورأسي لأسفل.

النائبات.. حين تُوأخي

للكاتب الأمريكي: (أو. هنري/O. Henry)

عَبْرَ النافذة.. ولج اللص إلى الغرفة سريعاً ثم تأنى!

تلك الأناة كان مصدرها قناعة ذاتية لديه مؤداها أن اللص الذي يحترم مهنته.. يأخذ -كمبدأ- وقته قبل أن يأخذ أي شيء آخر.

كان البيت مسكناً خاصاً، وبمنظرة سريعة إلى هيئة الباب الخارجي وذاك اللبلاّب المتطاوّل الذي ما عرف مقص المزارع، منذ فترة أدرك اللص أن صاحبة المنزل كانت تسترخي في إحدى الشرفات المظلة على المحيط محدثةً صاحب يخت متعاطف.. حَسَنَ الإصغاء كيف أنها لم تجد بعد من يفهم رقة قلبها ووحدة روحها وعنوان أحاسيسها.

وأنبأه النور المتسلل من النوافذ الأمامية بالطابق الثالث، بأن رب البيت قد آب إليه، بأنه عما قريب سيعمد إلى النور فيطفئه قبل أن يخلد إلى نوم عميق.. كان فصل الخريف.. زمناً وروحاً حيث يزهد سيد البيت في حدائق السطح وروعة التصميم الهندسي.

وأشعل اللص لفافة تبغ فأبرز وهج القدّاحة الخاطف ملامحه النائثة، كان ينتمي إلى الفئة الثالثة من طبقة اللصوص وهي فئة لم يُعترف بعد بها أو يرخص لها.

لقد أحاطتنا الشرطة علمًا من واقع التجربة بالنوع الأول والثاني منهم إذ إنّ بالإمكان تصنيفهم عطفًا على نوع ياقاتنهم، فالذي يضبط متلبسًا بجريمة السرقة دون ياقة هو من أردأ الأنواع على الإطلاق وأكثرها انحلالاً ودونية.

أما النوع الآخر -ذو الياقة، أعني- فغالبًا ما ينظر إليه على أنه من الموسرين، شخص جدير بالاحترام حقًا، نهارًا هو لا يتناول إفطاره إلا بكامل بدلته الأنيقة، حتّى إذا ما جن الليل ونفث المساء أدخته السوداء عاد إلى مهنة السطو المشينة، كخفافيش الظلام!

ولهذا النوع من اللصوص زوجة في كل ولاية، وخطيبة بكل مقاطعة، وله كذلك نفوذ إعلامي لا يحد، تعززه التأكيدات المستمرة الواردة من العديد من النساء اللواتي تمّ لهنّ الشفاء على يديه بعد الجرعة الأولى من علاج وصفه لهنّ، بعد أن أضتتهن مراجعة الأطباء المَهْرة دون جدوى!

كان لُصُّنا يرتدي سترة زرقاء، وهو كما أسلفنا.. من النوع الثالث الذي يصعب تحديد فئته.. كم ستحتار الشرطة في تصنيفه لو شاء له حظه العاثر أن يقع في يدها.

وشرع صاحبنا في التجوال خلسة كيما يتفد مهمته التي جاء من أجلها.

ولم يكن يرتدي قناعاً أو أحذية مطاطية كاتمة للصوت، كلا.. ولم يكن يحمل فانوساً داكناً، لكنه كان يخبئ مسدساً من عيار 38، ويلوك بشراهة قطعة لبان بنكهة النعنع الفلفلي، وكان أثاث المنزل ملفوفاً بأغطية لحفظه من تسلل ذرات الغبار إليه، أما آنية الفضة فقد كانت محفوظة في خزانات بعيدة المنال.

ونظر اللص إلى ما حوله.. لم يكن يتوقع تغيراً في مجرى الأحداث، وحصر جل تفكيره في هدفه الوحيد.. الغرفة العليا ذات الإضاءة الخافتة حيث يغرق رب المنزل في نوم عميق بعد جهد يوم مضمّن أمضاه في امتياح عزاء لروح جراه ما يشعر به من فراغ رهيب وشوق لشريكة حياته لا يحد!

ربما عثرت على بعض المال.. ساعة يد ثمينة.. قلم مرصع بالمجوهرات، أو ما أشبه ذلك قال لنفسه إذ سهّل صاحب المنزل مهمته بترك إحدى النوافذ مفتوحة على مصراعها!

وفتح اللص بلطف باب الغرفة المضاعة، وعلى السرير كان رب البيت يغيب في متاهات المنام، وتناثرت على التسريحة، حاجات كثيرة.. ساعة ورزمة فواتير.. مفتاح.. وسيجارات دُقت أعقابها، ربطة شعر حريرية وردية.. علبة مسكّن فوار لم تُفتح بعد أن ابتاعها المسكين درءاً لأوجاع الصباح.

وخطا اللص صوب (التسريحة) ثلاث خطوات، وفجأةً تمتم المستلقي ببضع كلمات حادة... فتح عينيه واندست يده اليمنى تحت الوسادة على أنّه أبقاها هناك!

- ابق ساكناً!! قال له اللص بلهجة تقليدية تحادثية هادئة، إذ إن لصوص الفئة الثالثة لا يهمسون!

ونظر المواطن الجاثم في سريره إلى نهاية ماسورة المسدس المستديرة فما تحرك!

- ارفع كلتا يديك!

صاح اللص به.

كانت لحية المسكين قصيرة مدببة مازج سوادها شيء من الشيب كلحية طيب أسنان ماهر.. وبدا الرجل ثابت الجنان، أبيضاً.. واثقاً من نفسه.. و.. مشمئزاً. وجلس في سريره رافعاً يده اليمنى فقط!

- ارفع اليسرى، كرر اللص توزيع الأوامر، قد تكون ثنائي اليدين فتطلق عليّ النار بيسراك! بإمكانك أن تعدّ إلى الرقم اثنين، هيا ارفع الثانية قلت لك.

- لا يمكنني أن أرفع الأخرى! أجابه الرجل بأسارير مكفهرة.

- ما بها؟ استفسر اللص.

- (روماتيزم) في الكتف!

- أهو من النوع الملتهب؟

- أجل! وقد تغلغل الالتهاب فيها.

ولثانية أو اثنتين بقي اللص واقفاً، وفوهة مسدسه مصوبة نحو اليد العليلة لضحيته.. وتسللت نظراته هنية إلى الغنيمة المتناثرة على صفحة التسريحة.. على أنها عادت محرجةً كيما تستقر على الرجل أمامه، فيما علت وجهه كذلك تكشيرة مفاجئة!

- لا تقف هكذا مستعرضاً تعبير وجهك قال المواطن له بمزاج متعكر: إن كنت قد أتيت بقصد السرقة فسارع بإنهاء ما وفدت من أجله، أمامك بعض الحاجات هنا وهناك! هيا!

- معذرة صديقي! قال اللص مبتسماً، على أنني لم أكن أتوقع أن أصادف ضحية (روماتيزم).. إذ إني؟ وهذا المرض صديقان لا يفترقان، لقد أصاب يدي اليسرى. لو كان اللص شخصاً آخر لطحرك أرضاً حينما رفضت رفع يدك!

- وهل يلازمك (الروماتيزم) منذ مدة طويلة؟ سأله الرجل.

- منذ أربع سنوات، على أنني أعتقد أن من يصاب به سيلازم طول العمر.

- ألم تجرب زيت ذات الأجراس؟ سأله الرجل باهتمام.

- بل استهلكك من ذلك عدة جالونات، ولو أن الحيات التي استخدمت زيتها قد مُدّت كحبل لبلغت كوكب زحل، ولسمع صليل أجراسها سكان (فالباريزو) في (آنديانا).

- يتداوى بعض المصابين بحبوب (التشيسلم) قال الرجل!
- محض هراء، استعملت ذلك لمدة خمسة أشهر فما استفدت، على أنني قد ارتحت قليلاً حينما استعملت خلاصة (الفينكلام) وأنواع أخرى، لكنني أعتقد أن ما أفادني حقاً - بعد الله - هو كستناء الحصان الذي كان في جيبى دوماً.
- وهل يزدد الألم صباحاً أم مساءً؟ سأله الرجل.
- بل إنه لا يداهمني إلا مساءً.. حينما أكون مستغرقاً في العمل. هيه.. أنزل يدك.. لا أظنك..، قل لي هل جربت دواء (بليكوستاف)؟
- أبداً! أخبرني.. هل يداهمك الألم في هيئة نوبات أم أنه مستمر؟
- وجلس اللص على حافة السرير فأراح مسدسه على ركبته المثنية، وأجاب: بل إنه يتنقل كما يحلو له، وهو يفاجئني في أحلك الأوقات حينما أكون منهمكاً في عملي، حتى إنني قررت اعتزال سرقة الطوابق الثانية لأنني غالباً ما كنت (أتورط) مع تلك النوبات إبان انشغالي.. اسمع.. لا أظن أن الأطباء مُلمّون بكيفية علاج تلك الحالة؟
- نحن في العذاب يا رفيقي صنوان. رد الرجل، لقد صرفت ما ينيف على ألف (دولار) دون فائدة تُذكر، ما زالت الآلام الممضة كما هي، همٌّ بالنهار وعذابٌ بالليل وأرقٌ، أَتَتَوَرَّمُ يداك؟
- آن الصباح.. وحين تنذر السماء بمطر..!
- وأنا كذلك رد الرجل حتى إن بوسعي معرفة الوقت الذي ستصل فيه موجة رطوبة بحجم غطاء مائدة الطعام قادمة من (فلوريدا) إلى (نيويورك)، يقفز الألم ساعتها على امتداد ذراعي اليسرى كنوبة حادة.. ممضة من ألم الأسنان!
- ذاك هو الجحيم بعينه لا تسلني يا رفيقي، علّق اللص.
- أنت محق تماماً! أجابه الرجل.
- ونظر اللص إلى مسدسه، ثم غيَّبه بتلقائية في جيب معطفه قبل أن يقول بتبرّم:
- ألا أخبرني أيها الشيخ: هل جرّبت (الأبودلدك)؟

- هراء.. قال الرجل غاضبًا، لا يتعدى مفعوله ذهن الذراع بزبدة مطعم!
- بالتأكيد! قال اللص. لا يصلح إلا كعلاج لخدوش القطط!
- أظن أن خير علاج لذلك هو شيء من الشراب المنعش الصحي، تأثيره حسن فيما يختص بحالتنا!.. ارتد ملابسك، وهيا بنا.. آو ها لقد عاودتني نوبة الألم ثانية! قال متأوهًا!
- لأسبوع خلا ما كنت قادرًا على ارتداء ملابسي دون مساعدة.. كان الألم رهيبًا.. على أنني أخشى أن يكون الخادم قد خلد إلى النوم!
- هيا، أنا سأساعدك على ارتدائها.
- على أن موجه مبالغته من تلك الآلام التقليدية داهمت الرجل.
- فجأة، فما زاد على أن مسد لحيته المدببة التي احتل المشيب نصف أرجائها.
- أمر غير عادي قال!
- إليك بالقميص، قال له اللص، مناوئًا إياه إذ سقط منه، أعرف رجلًا قال: إن مرهم (الأمبري) قد أفاده كثيرًا بعد أسبوعين فقط من الاستعمال، حتى إنه بات قادرًا على إحكام ربطة العنق (المنزلة) - رغم صعوبة ذلك - بكلتا اليدين!
- وفيما كانا يتوجهان صوب الباب.. توقف صاحب البيت فجأة، وهم بالعودة إلى التسيريحة:
- كدت أنسى أن آخذ نقودي، نقودي، وضعتها على التسيريحة ليلة أمس و...
- على أن اللص جذب بمرح كمه الأيمن!
- هيا - قال أمرًا - دع النقود كما هي، أخويل كامل القيمة.. ألا قل لي.. هل سبق أن جرّبت نبات المشتركة [الهاماماليس] وزيت (الغلطيرة المسطحة)?

يوم من الترقّب للكاتبة الأمريكية: (إرنست همنجواي)

كنت لا أزال في سريري.. عندما دخل (كنزي) الغرفة ليغلق النافذة، فبدا لي عندها أنه مريض! كان يرتجف من البرد، وقد علت وجهه صفرة وشحوب، وكان يمشي بأناة وثقل، كأن كل خطوة تنهك قواه.. وسألته: ماذا بك يا كنزي العزيز؟ فأجاب: إنني أشعر بشيء من الصداع، وسيزول الألم وشيكًا. فقلت له: اذهب إلى فراشك.. وسأتي لرؤيتك متى نهضت. بيد أنني عندما نزلت إلى غرفته، وجدت أنه لا يزال في ثيابه، وقد جلس قرب الموقد ساهيًا، فبدت على قسمات وجهه الشاحب ذي الربيع التاسع كل معاني البؤس والشقاء... ومسحت يدي على جبينه فشعرت أنه كان محمومًا بعض الشيء فقلت له: اذهب إلى فراشك، فأنت مريض يا بني.

فقال: كلا.. لا بأس، ورأيت من واجبي أن أستدعي الطبيب، فلما جاء وأخذ حرارة الطفل سألته: كم درجة حرارته يا دكتور؟. فقال: مئة واثنين. وانتهى الطبيب من فحصه فانصرف، بعد أن ترك ثلاثة أنواع من الأدوية، في برشامات أنواعها مختلفة، لكل منها تعليمات خاصة لتناولها.

أما الدواء الأول فلتخفيض الحرارة، وأما الثاني فكان مُسهّلًا، والثالث لتلافي حدوث حموضة محتملة في المعدة، إذ إن المكروب لا يمكن أن يعيش إلا في الحموضة.

وكان الطبيب مختصًا في أمراض الحمى، مما جعله يؤكد أنه لا خطر على حياة الطفل طالما أن درجة الحرارة لم تتعدّ الأربع درجات بعد المئة ويأخذ الاحتياطات الكافية لتلافي أي التهاب رئوي قد يحدث أحيانًا.. فإنّ هذه الحمى تصبح خفيفة الوقع.. غير ذات بال.

وعدت إلى الغرفة بعد أن ودعت الطبيب، فأخذت مرة أخرى الحرارة ودوّنت على ورقة، الساعات التي يجب أن أناولها فيها كل دواء، ثمّ سألته: أتحب أن أقرأ لك؟. فقال: لا مانع.. إذا كنت ترغب في ذلك.

ونظرت إليه فإذا قد علت وجهه صفرة وشحوب.. وظهرت تحت عينيه بقع سوداء داكنة،

وكان مستلقيًا على الفراش، لا يبدي حراكًا، ولا يظهر أي اكتراث لما يدور حوله.

وقرأت له بعض المقاطع من كتاب (القرصان طواردييل) ولكنني لم ألبث أن لاحظت أنه لم يكن ليسمع أو يعي حرفًا واحدًا مما كنت أقرأ. وسألته: كيف حالك الآن.. يا كنزي العزيز؟ فأجاب باقتضاب: لا أزال كما كنت.

وجلست على حافة السرير، ورحت أقرأ لنفسي بانتظار وقت تناوله الحبة الثانية، وظننت لحظة أنه لا بد قد نام، ولكن عندما رفعت عيني عن الكتاب.. رأيته ما زال مستيقظًا يحدق بنظرة غريبة إلى حافة السرير فسألته: ولكن لماذا لا تجرب أن تنام؟ سأوقفك متى حانت ساعة تناولك الدواء، فأجاب: إنني أفضّل أن أبقى مستيقظًا.. ولا حاجة بك تضطرك إلى البقاء معي، إذا كان ذلك يزعجك.

ورأيت أن أمكث عنده حتى الحادية عشرة، أي حتى وقت تناوله الدواء، ثم خرجت. كان اليوم ساطعًا قارصًا وهاجًا، وكانت الأرض مغطاة بطبقة من الجليد، فبدت لي الأشجار العارية الأغصان، وبدا لي الشوك المقطوع، والعشب والأرض والأشواك، حيث سقطت تلك الأشواك بدأت تتحرك تحت ثقلها كالرقاص.

واكتفيت بما قمت به، ورجعت أدراجي سعيدًا رغم كل شيء باكتشافي هذه السرية قرب البيت. ولما وصلت إلى المنزل، واستفسرت عن صحة الصغير قيل لي: إنه رفض دخول أي كان إلى غرفته.. فتوجهت رأسًا إلى الغرفة، وما إن وطئت قدمي أرضها حتى سمعته يقول: لا تدخل! إذ لا يجب أن تصاب بعدوى مثلي. ولكنني لم أبه لكلامه.

واقتربت منه فدهشت إذ رأيته لم يغير وضعه منذ أن تركته. كان وجهه ما يزال شاحبًا، رغم أن خديه كانا محمرين من تأثير الحمى، أما نظرتة فما زالت مسمرة بحافة السرير، وأخذت حرارته، فسألني عندما انتهيت: كم هي؟

فقلت: حوالي المئة، وكنت أعرف أنها فوق المئة بأكثر من درجة. وقال: كانت حرارتي مئة واثنين هذا الصباح. فقلت: من قال هذا؟ إنني أكذبه الخبر، فقد تعددت حرارته أجاب الطبيب. فقلت: لا تهتم ولا تقلق.. ولا تكتئب، فإن حرارتك لا تدعو للقلق. فقال: إنني لا أشعر بقلق. فقلت ونظرتة ساهمة: هذا.. ما أفعله.

وكان واضحًا جليًا من نظراته وحديثه.. أنه إنما يخفي في نفسه شيئًا كان يعصف بها، وناولته حبة، وقلت له: خذ هذه مع قليل من الماء، فقال: أعتقد أن ذلك سيجدي نفعًا؟ فقت له: بكل تأكيد! وجلست قرب سريره، ثم فتحت كتابًا، وشرعت أقرأ له منه فصولًا، ولكنني لم ألبث أن شعرت أنه لم يكثرث لشيء مما كنت أقرأه، فأقلعت عن ذلك.

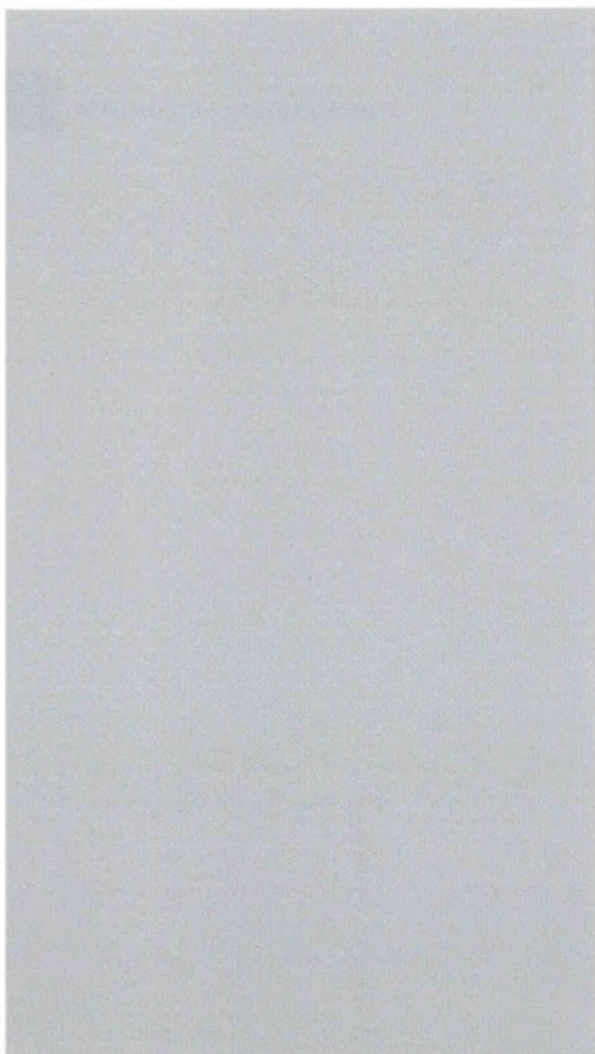
وفجأة، وبدون أية مقدمات، طرح عليّ هذا السؤال الغريب: في أية ساعة تعتقد أنني سأموت؟.

فأجبت: ولكنك لن تموت.. ماذا دهاك لتسأل مثل هذا السؤال السخيف؟ فقال: أجل.. أعرف أنني سأموت.. فإن حرارتي قد تعدت الاثنتين بعد المئة. فطمأنته قائلاً: ولكن، من ذا الذي قال لك إن مثل هذه الحرارة تكون قاتلة؟ إن من البلاهة بمكان أن تفكر بمثل هذه الأمور!.

فقال: ولكنني أعرف أنني سأموت، فعندما كنت في المدرسة، في فرنسا، كنت أسمع الأولاد يقولون: إنه لا يمكن لامرئ أن يعيش إذا جاوزت حرارته الأربعة والأربعين.. وأنا معي مئة واثنان! وهكذا إذا: فقد انتظرت الموت النهار كله منذ التاسعة صباحًا! وقلت له (كنزي) العزيز؟ إن مثل درجات الحرارة كمثل الأميال والكيلومترات سواء بسواء.

فأنت لن تموت بمجرد أن حرارتك مئة واثنان.. لأن درجة حرارة الطبيعة تختلف باختلاف نوع الدرجات: فهي عند ذاك 37، وعند هذا 68.

ولم تبدر منه إلا هذه الكلمة: آه...! بيد أن نظرتي التي ظلّت مسمرة بحافة السرير فقدت شيئًا من ثباتها وقساوتها.. وأخيرًا زال ما كا يعتمل في نفسه من خوف.. وأسى.. وشجى، وما إن أقبل الغد حتّى رجع إليه اتزان، وأضحى يبكي بسهولة لأمر ما كان أسخفها..!



أدب السَّيرِ والرحلاتِ





السيرة الأدبية

السيرة في اللغة هي السُنَّة، والسيرة: الطريقة. يقال: سار بهم سيرة حسنة. والسيرة: الهيئة. وفي التنزيل العزيز: (قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى) (١١).

والسيرة الأدبية: فنّ جوهره التواصل اللغوي، يتناول حياة إنسان ما تناولاً يقصر أو يطول. وعرفها بعضهم بأنها «السرد المتتابع لدورة حياة شخص، وذكر الوقائع التي جرت له في أثناء مراحل هذه الحياة».

وتنقسم السيرة الأدبية إلى سيرة ذاتية وسيرة غيرية.

فالسيرة الذاتية: هي التي يكتبها الشخص بنفسه عن نفسه.

أما السيرة الغيرية: فهي التي يكتبها كاتب ما عن شخص آخر، فهي ترجمة حياة شخص عن طريق الشواهد والشهادات والوثائق.

ويتحتم على كاتب السيرة الذاتية أن يكون موضوعياً في نظريته لنفسه، وهو يذكر موقفه من الناس والحوادث. وعلى كاتب السيرة الغيرية أيضاً أن يكون موضوعياً، وأن يقف موقف الشاهد لا القاضي. ولذلك يعدّ الصدق من أهم شروط كتابة السيرة الأدبية.

ولما كان الصدق من أهم شروط كتابة السيرة الأدبية فإنّ المتعة لا تتحقق إلا إذا كانت السيرة عن شخصية فذة، عاشت حياة غنية بالأحداث والمواقف، أو كانت عن شخصية مبدعة في أي مجال من مجالات الفنون والعلوم.

ويعدّ محمد بن إسحق أول من استخدم كلمة «السيرة» في كتابه (سيرة رسول الله ﷺ)، ولذلك تعدّ السيرة النبوية أوسع ما في التراجم الإسلامية، وأقدمها ظهوراً، ثمّ ظهرت تراجم أخرى لطبقات الصحابة، وطبقات المُفسّرين، وطبقات الشّعراء وطبقات النّحاة وغيرهم.

ولما أصبحت السيرة الذاتية فناً مستقلاً بذاته برع فيها الكثير من الأدباء عبر العصور، مثل الإمام أبو حامد الغزالي في سيرته الفكرية الفريدة (المنقذ من الضلال)، وابن خلدون في سيرته (التعريف بابن خلدون ورحلته شرقاً وغرباً)، وأحمد لطفي السيد في

سيرته (قصة حياتي)، وعباس محمود العقاد في سيرته (أنا) و(حياة قلم)، وإبراهيم عبد القادر المازني في سيرته (قصة حياة)، وطه حسين في سيرته (الأيام)، وتوفيق الحكيم في سيرته (زهرة العمر)، وأحمد أمين في سيرته (حياتي)، وميخائيل نعيمة في سيرته (سبعون)، وبنيت الشاطئ في سيرتها (على الجسر).

تَعَلَّمْتُ مِنْ أَوْقَاتِ الْفَرَاغِ

عباس محمود العقاد

أوقات العمل تملكتنا.....

ولكننا نحن الذين نملك أوقات الفراغ وَنَتَصَرَّفُ فيها كما نريدُ، فهي من أجل هذا ميزانُ قُدْرَتِنَا على التَّصَرُّفِ، وميزانُ معرفَتِنَا بقيمةِ الوقتِ كُلِّهِ، وليستَ قيمةُ الوقتِ إلَّا قيمةُ الحياةِ.

فالذي يعرفُ قيمةَ وقتهِ يعرفُ قيمةَ حياته، وَيَسْتَحِقُّ أَنْ يحيا، وأن يملكَ هذه الثروة التي لا تساويها ثروة الذهب، لأنَّ مالِكَ وقتهِ يملكُ كلَّ شيءٍ، ويصبحُ في حياته سيّدَ الأحرارِ.

إنَّ أفرغَ الناسِ هو الذي لا يستطيعُ أن يملأَ ساعاتِ فراغِهِ، وعندنا في الشرقِ كثيرونَ بل كثيرونَ جدًّا مِنْ هؤلاءِ الفارغين؛ على القهوةاتِ، وعلى أفايز الطُّرقاتِ، في الصُّباحِ وفي المساءِ، خلالَ أيامِ الصَّيفِ، وخلالَ أيامِ الشِّتاءِ..... في كُلِّ وقتٍ، وَكُلِّ مَوْسَمٍ، وَكُلِّ مكانٍ، ألوفٌ مِنَ الشَّبابِ الأقوياءِ والرَّجالِ الناضجينَ يقضونَ ساعاتِ الفراغِ في لعبِ النَّردِ والورقِ، أو في مُراقبةِ الغادين والغادياتِ، والرَّائحينَ والرَّائحاتِ.

ليسَ هذا وَقْتًا فارغًا لأنَّهم مشغولونَ فيه، وليسَ هذا وقتًا مملوءًا لأنَّهم يملؤونه بما هو أفرغُ مِنَ الفراغِ.

هذا ليسَ بوقتٍ على الإطلاقِ...

وليسَ معنى «وقتُ الفراغِ» أنَّه الوقتُ الذي نستغني عنه، ونبدِّدُهُ، ونرمي به مع الهباءِ، ولكنَّ وقتَ الفراغِ هو الوقتُ الذي بقيَ لنا لنملكهُ ونملكَ أنفسنا فيه، بعدَ أن قضينا وقتَ العملِ مملوكينَ مُسَخَّرِينَ لما نزاوُلُهُ مِنْ شواغلِ العيشِ وتكاليفِ الضَّرورةِ.

قرأتُ مرَّةً في تاريخ أمريكا الشماليَّةِ أنَّ الإنجليزَ والفرنسيينَ تسابقوا على استعمارِ «كندا» فنجحَ الإنجليزُ حيثُ أخفقَ الفرنسيونَ.. لماذا؟

زعموا في تعليلِ ذلك -وأصابوا- أنَّ استعمارَ القفارِ مِنَ الأرضِ البورِ يحتاجُ إلى قضاءِ الأوقاتِ الطَّوالِ في عزلةٍ عن المدنِ الحافلة، وأنَّ الإنجليزَ نجحوا في استعمارِ تلكِ الأرضِ

*) عباس محمود العقاد- السيرة الذاتية، المجلد 22، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1982، ص-ص. 136-140.

لأنهم يستطيعون أن يقضوا أوقات الفراغ منعزلين منفردين، وأن الفرنسي لا يطيق العزلة، ولا يحتمل أن يفرغ لنفسه، ولا يزال في شوق إلى المدينة لقضاء السهرات والأصائل بين الناس في الأندية والمجتمعات، فترك ميدان الخلاء لمن هم قادرون عليه...

ويصدق علينا في الشرق ما يصدق على الفرنسيين، فإن الإنسان منا لا يستطيع أن يجد في نفسه ما يشغله ساعة فراغ، ولا يحس بفراغ من الوقت حتى يلوذ بالطرقات والقهوات، ولا يهتدي بعد البحث الطويل في أعماق ضميره وأطواء دماغه إلى شيء يملأ به ذلك الفراغ. إن كان قصارى ما أصاب الفرنسيين من هذه الخصلة أنهم أخفقوا في استعمار «كندا».. فالأمر معنا أخطر وأعظم، فلعلنا لم نذهب فريسة الاستعمار إلا لأننا فارغون، وأتينا لا نجد في نفوسنا ما ننطوي عليه.

ولو أنني أردت امتحان الأقوياء من الرجال لتركتهم فترات في مكان مغلق يقضون فيه ساعات فراغهم، فمن صبر على هذه الساعات فهو رجل مלא بقوة الفكر وقوة الخلق وقوة الاحتمال، ومن لم يصبر عليها فهو الفارغ الذي لا خير فيه.

ماذا نتعلم من ساعات الفراغ؟

نتعلم منها كل شيء، ولا نتعلم شيئاً من الحوادث أو الكتب أو الأعمال، إلا احتجنا بعده أن نتعلمه مرة أخرى في وقت فراغ..

فالمعارف التي نجم عنها من التجارب والكتب محصول نفيس، ولكنه محصول لا يفيدنا ما لم نغربله، ونوزعه على مواضعه من خزائن العقل والضمير..

ولن تيسر لنا هذه الغربة وهذا التوزيع في غير أوقات الفراغ..

إن معارف التجربة والاطلاع زرع في حقله ينتظر الحصاد والجمع والتخزين، ولا فائدة للحرب والسقي والرعاية ما لم تأت بعد ذلك ساعة التخزين...

وهي ساعة الفراغ

ساعة هي ألزم لنا من ساعات العمل، لأن العمل كله موقوف عليها في النهاية، فلا ثمرة لأعمال الحياة بغير فراغ الحياة.

ولولا أننا نخشى أن يُقدّس الناس الفراغ لقلنا: إن تاريخ الإنسانية من أوله إلى عهده الحاضر مدينٌ لساعات الفراغ.

لقد عرف التاريخ الإنساني أقواماً فارغين جنوا عليه بفراغهم أشنع الجنيات، ودفعوا به إلى الحرب تارةً وإلى الفتنة تارةً أخرى؛ لأنهم وجدوا أمامهم متسعاً من الفراغ يعيشون فيه.

ولكننا - حتى مع هذا - لا نستغني عن ثمرات ذلك الفراغ جميعاً دون أن نجازف بالجانب الصالح النافع من تاريخ الإنسان.

ماذا يبقى من تاريخ الإنسانية لولا الفارغون الذين اتسعت أوقاتهم للبخخ والتّرف بين الحلبيّ والحليّ؟

من كان يجوب الأرض، ويمخر عباب البحر ليجلب الحرير والبهار والحجر النفيس والحجر الذي تبنى به الصّروح؟

من كان يتعلّم الملاحة؟ من كان يتعلّم صناعة السفن؟ من كان يتعلّم النسيج؟ من كان يستخرج اللآلئ، أو يبحث عن شذور الذهب والفضة؟ من كان يرسل القوافل ويحذق فنون التجارة؟ من كان يرصد النجوم ويدرس حركة الأفلاك في السماء؟ من كان يعرف هذه الأعمال التي يعيش عليها الملايين لولا ذلك الفراغ الذي تقدّم به الزمن في تواريخ الأمم؟

لقد كان فراغاً دميماً في أكثر نواحيه، ولكنه على مذمته قد أفادنا درساً خالداً لا يصح أن ننساه. ذلك الدرس الخالد هو حاجة الناس جميعاً إلى أوقات الفراغ، فهي شيء لا غنى عنه في حياة أمة ولا في حياة أحد...

وحبذا قضاء الفراغ كلّهِ فيما هو خير. ولكننا إذا خيّرنا بين الفراغ خيرهِ وشرهِ وبين ضياع الفراغ كلّهِ لاخترنا أهون الشرّين.

إنّ العقلاء من أصحاب الأعمال يطلبون اليوم متسعاً من الفراغ لِعَمَالِهِمْ بعد أن كان طلب الفراغ مقصوراً على العمال. فالعامل الذي ينفق بعض الوقت ينفق بعض المال

فتدور الحركة - حركة البيع والشراء في الأسواق.
 حسبة من حساب الحرص لا من حساب الإسراف، وحسبة يرضى عنها علم الاقتصاد،
 ولا يغضب عليها علم الأخلاق.
 والاقتصاد الأعظم بعد هذا وذاك هو الذي تعلمناه وتعلمته من تاريخ الإنسانية من
 أوله إلى عهده الحاضر.
 لا بُدَّ من فراغ...
 ولا بُدَّ من فراغ نحفظه...
 والفراغ الذي نحفظه هو الذي نحفظنا؛ لأننا نستخلص فيه خير ما ندخره من غربة
 التجارب والمعارف والعظات.

رحلة ابن بطوطة إلى الصين

قال ابن بطوطة في رحلته عن أهل الصين¹:

ذكر ما خصوا به من إحكام الصناعات:

وأهل الصين أعظم الأمم إحكامًا للصناعات، وأشدُّهم إتقانًا فيها، وذلك مشهورٌ من حالهم، قد وصفه الناس في تصانيفهم فأطنبوا فيه، وأما التصوير فلا يُجاريهم أحدٌ في إحكامه من الروم ولا من سواهم، فإنَّ لهم فيه اقتدارًا عظيمًا، ومن عجيب ما شاهدتُ لهم من ذلك أتى ما دخلتُ قطُّ مدينةً من مدنها، ثمَّ عدتُ إليها إلَّا ورأيتُ صورتي وصورَ أصحابي منقوشةً في الحيطان، والكواغد موضوعةً في الأسواق! ولقد دخلتُ إلى مدينة السلطان فمررتُ على سوق النقاشين، ووصلتُ إلى قصر السلطان مع أصحابي، ونحن على زِيِّ العراقيين، فلما عدتُ من القصر عشيًّا مررتُ بالسوق المذكورة، فرأيتُ صورتي وصورَ أصحابي منقوشةً في كاغِدٍ قد ألصقوه بالحائط، فجعل كلُّ واحدٍ منا ينظرُ إلى صورة صاحبه لا تخطئ شيئًا من شبهه، وذكر لي أنَّ السلطان أمرهم بذلك، وأنهم أتوا إلى القصر ونحن فيه فجعلوا ينظرون إلينا ويصوِّرون صورنا ونحن لم نشعر بذلك، وتلك عادةٌ لهم في تصوير كلِّ من يمرُّ بهم، وتنتهي حالهم في ذلك إلى أنَّ الغريب إذا فعل ما يوجبُ فِرازه عنهم بعثوا صورته إلى البلاد، وبُحِث عنه فحيثما وُجدَ شبهُ تلك الصورة أُخذَ.

ذكر حفظهم للمسافرين في الطرق:

وبلاد الصين آمنُ البلاد وأحسنها حالًا للمسافر، فإنَّ الإنسان يسافرُ منفردًا مسيرةً تسعة أشهر، وتكون معه الأموال الطائلة فلا يخاف عليها، وترتيب ذلك أنَّ لهم في

(1) رحلة ابن بطوطة (تحفة النظائر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، سنة النشر: 1417 هـ / 4 / 132-134

كُلُّ مَنْزِلٍ بِلَادِهِمْ فُنْدُقًا، عَلَيْهِ حَاكِمٌ يَسْكُنُ بِهِ فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْفَرَسَانِ وَالرَّجَالِ، فَإِذَا كَانَ بَعْدَ الْمَغْرِبِ أَوْ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ جَاءَ الْحَاكِمُ إِلَى الْفُنْدُقِ، وَمَعَهُ كَاتِبُهُ فَكَتَبَ أَسْمَاءَ جَمِيعِ مَنْ يَبِيتُ بِهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَخَتَمَ عَلَيْهَا، وَأَقْفَلَ بَابَ الْفُنْدُقِ عَلَيْهِمْ، فَإِذَا كَانَ بَعْدَ الصَّبْحِ، جَاءَ وَمَعَهُ كَاتِبُهُ، فَدَعَا كُلَّ إِنْسَانٍ بِاسْمِهِ، وَكَتَبَ بِهَا تَفْسِيرًا، وَبَعَثَ مَعَهُمْ مَنْ يُوَصِّلُهُمْ إِلَى الْمَنْزِلِ الثَّانِي لَهُ، وَيَأْتِيهِ بِرَاءَةٌ مِنْ حَاكِمِهِ أَنَّهُمْ جَمِيعُهُمْ قَدْ وَصَلُوا إِلَيْهِ، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ طَلَبَهُ بِهِمْ، وَهَكَذَا الْعَمَلُ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ بِلَادِهِمْ... وَفِي هَذِهِ الْفُنَادِقِ جَمِيعُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْمُسَافِرُ مِنَ الْأَزْوَاجِ، وَخُصُوصًا الدَّجَاجُ وَالْإِوْرُ، وَأَمَّا الْغَنَمُ فَهِيَ قَلِيلَةٌ عِنْدَهُمْ.

تجارب مع الحقيقة

(المهاتما غاندي)

وأغلب الظن أنني كنت في السابعة تقريباً عندما غادر أبي (بوربندر) إلى (راجكوت) ليصبح عضواً في محكمة (راجاستانك)، وهناك أدخلت إلى مدرسة أولية.

وأستطيع أن أتذكر تلك الأيام في وضوح، وفي جملة ذلك أسماء المدرسين الذين علموني وبعض صفاتهم المميزة، لم يكن في ميسوري أن أكون أكثر من تلميذ عادي. ومن المدرسة مضيت إلى مدرسة الضاحية، ثم إلى المدرسة الثانوية بعد أن بلغت الثانية عشرة. ولست أذكر أنني كذبت قط، -خلال هذه المدة القصيرة- كذبة واحدة على معلمي، أو على رفاقي سواء بسواء. كنت شديد الحياء، وكنت أجتنب الاتصال بأحد. كانت كتبتي ودروسي هي رفيقي الأوحده، وكان الوصول إلى المدرسة مع دقائق الساعة والعودة إلى البيت حالما تقفل المدرسة هما عادتي اليومية. كنت أعدو راجعاً بكل ما في الكلمة من معنى؛ لأنني لم أكن أحتفل بالتحديث إلى أحد، بل لقد كنت أخشى أن يسخر أحد مني أو يتندر بي..

وهناك حادثة وقعت في الامتحان الذي جرى خلال سنتي الأولى في المدرسة الثانوية، وهي جديرة بالتدوين، كان (مستر جيلز)، مفتش المعارف، قد وفد إلى مدرستنا في مهمة تفتيشية، وكان قد قدم إلينا خمس كلمات لنكتبها كتمرين في التهجية، وكانت إحدى تلك الكلمات (Kettle) وكنت قد أخطأت في تهجيتها، فحاول المدرس أن يُلَقِّنني الجواب الصحيح بمقدم حذائه، ولكنني لم أفهم ما يريد. لقد كان المتعذر علي أن أرى أنه أراد مني أن أنقل التهجية من لوح جاري الحجري، ذلك لأنني كنت أعتقد أن المدرس كان هناك ليراقبنا، ويحول بيننا وبين النقل. وكانت النتيجة أن الغلمان جميعهم -باستثنائي أنا- قد تهجوا الكلمات جميعها على وجهها الصحيح. أنا وحدي كنت الغلام الأبله، وحاول المدرس فيما بعد أن يثبت لي هذه البلاهة، ولكن على غير طائل، فلم يكن في ميسوري قط أن أعلم فن «النقل».

ومع ذلك فإن هذه الحادثة لم تقلل -البتة- من احترامي لمعلمي، كنت -بالفطرة- أعمى عن أخطاء مَنْ هُم أكبر مني سنّاً، وفيما بعد قدّر لي أن أعرف كثيراً من نقائص هذا المعلم، ولكن احترامي له ظل هو هو، ذلك أنني كنت قد تعلمت أن أنفذ أوامر المتقدمين في السن، لا أن

أمحض أفعالهم.

وثمة حادثتان أخريان، ترجعان إلى الفترة نفسها، لم تبرحا ذاكرتي في يوم من الأيام، فقد كنت دائماً أكره المطالعة في أيما كتاب إضافي غير كتبتي المدرسية، كان علي أن أنجز دروسي اليومية لأنني كنت أكره أن يوبّخني معلمي بقدر ما كنت أكره أن أخدعه، وهكذا كنت أدرس دروسي، ولكن ذلك كثيراً ما كان يتم من غير أن أعمل عقلي فيها، وهكذا لم أكن لأخذ نفسي بقراءات إضافية حتى ولو لم أستطع مذاكرة دروسي جيداً، ولكن عيني وقعت بطريقة ما على كتاب كان أبي قد اشتراه، وكان ذلك الكتاب هو «شرافانا بيتر ييها كي ناتاكا» (مسرحية عن إخلاص شرافانا لوالديه)، وقد قرأت الكتاب في شوق عارم، ووفد إلى بلدنا في الوقت نفسه بعض العارضين المتجولين، وكانت بين الصور التي عرضت علينا صورة تمثل (شرافانا) وقد حمل والديه الضريين إلى الحج بواسطة ألواح من الخشب شددت إلى كتفيه. وترك الكتاب والصورة أثراً في ذهني، لا سبيل إلى محوه، وقلت في نفسي: «ههنا مثل يحسن بك أن تقتدي به»، إن ندب الوالدين الأليم لوفاة (شرافانا) لا يزال طرياً في ذاكرتي، لقد حرك اللحن الرقيق عواطفني، فعزفته على «كونسيرتينا» كان أبي قد اشتراها لي.

وكانت ثمة حادثة مماثلة تتصل بمسرحية أخرى، فحوالي ذلك الوقت تماماً حصلت على إذن من والدي يجيز لي أن أرى مسرحية كانت إحدى الفرق المسرحية تمثلها. والواقع أن هذ المسرحية - واسمها «هاريشاندرا» - أسرت فؤادي، وما كان لي أن أتعب من مشاهدتها، ولكن كم مرة سوف يسمح لي بالذهاب؟ لقد فرضت تلك المسرحية نفسها علي فمشاهدتها ماثلة في ذهني أبداً، ولاريب في أنني قد مثلت لنفسي دور «هاريشاندرا» مرات لا تحصى. وكان السؤال الذي وجهته إلى نفسي ليل نهار هو «لماذا لا يكون الجميع أمناء مخلصين مثل (هاريشاندرا)؟» كان اتباع الحقيقة ومكابدة كل ما كابده (هاريشاندرا) من محن هما المثل الأعلى الأوح الذي أوحى به إلي. لقد آمنت بقصة (هاريشاندرا) بكل ما في كلمة الإيمان من معنى حرفي، وكثيراً ما دعاني التفكير إلى البكاء. إن حصافتي تنبئ اليوم أن (هاريشاندرا) لا يمكن أن يكون شخصية تاريخية، ومع ذلك فكل من (هاريشاندرا) و(شرافانا) حقيقة حية عندي، وأنا واثق من أن عواطفني سوف تستثار، كشأنها من قبل، إذا ما قُدر لي أن أقرأ اليوم هاتين المسرحيتين كرتة أخرى.

رحلة إلى شمال إفريقيا - القنطرة (أندرية جيد)

أخيرًا انفرجت الصخرة التي كانت تمتد إلى جانبنا منذ الصباح، ها هو الباب، اقتحمناه، إنه الليل، نمشي في الظل، ظهر اكتمال النهار الذي انتهى. جمال البلد المرغوب. من أجل أي افتتاح وسكون ستصدر عنك الآه! امتدادك تحت الضوء الذهبي الدافئ.

توقفنا، انتظرنا، نظرنا.

ظهر عالم مختلف، غريب، ثابت، هادئ، ولا لون، أسعيد هو؟ لا، أحزين؟ لا، إنه هادئ.

اقتربنا بحذر، كما لو وسط ماء دافئ ومضطرب تحت فيء النخيل، وخطوة بعد خطوة بدأنا نقرب.. صوت ناي، حركة بيضاء، ماء يهمس بلطف، ضحك أطفال قرب الماء، ثم لا شيء، لا قلق، ولا فكرة، ليس حتى هدوءًا: هنا لا شيء يتحرك، إنه عالم فائن في ماذا كنت أرغب إلى حدود هذا اليوم؟ ماذا كان يقلقني؟

جاء الليل، الماشية أوت، ما كنا نظنه هدوءًا، لم يمكن سوى إسبات وفنور. وفي لحظة أرادت الواحة، وهي مندهشة ومرتجفة، أن تعيش.

هبوب خفيف جدًا، لامس النخيل. دخان أزرق يتصاعد من البيوت الطينية جميعها فيملاً بالضباب القرية التي -عندما تدخل الماشية- تخلد إلى النوم، وتغوص في ليل هادئ شبيه بالموت.

كم تمتد الحياة المتواصلة، الشيخ يموت بلا ضجيج، والطفل يكبر بلا رجة، القرية تبقى كما هي، حيث لا وجود لكائن متشوق إلى الأفضل، ويأتي بشيء جديد بعد بعض الكد. قرية بأرقة ضيقة، بلا ترف، هنا يدفع الفقر إلى معرفة نفسه، الكل يأخذ قسطه من الراحة، ويتسم بسعادة بسيطة، العمل البسيط في الحقول، هذا هو العصر الذهبي! ثم على خطأ الأبواب، يستولي الليل بأغانيه وحكاياه على متعة المساء البطيء.

من بين كل المقاهي ذات الطابع (المورسكي)، اخترت الأكثر انزواء، والأكثر عتمة، ما الذي جذبني إليها؟ لا شيء، الظل، الشكل، اللين الممتد، الغناء وألا تكون مرئيًا من الخارج،

الشيء الذي يولد إحساساً بأنك مهاجر سري. أدخل بدون إحداث ضجة، أجلس بسرعة، ولكي لا أخل بنظام الأشياء، أظاهر بأنني أقرأ، وأبقى أنتظر... لكن لا شيء، عجوز ينام في الزاوية، وآخر يغني بصوت خفيض جداً تحت أحد المقاعد، كلب يقضم عظمة، والطفل الذي يعمل بالمقهى، يقف قرب الموقد، ويحرك الرماد بحثاً عن بعض الجمر لتدفئة قهوتي المرة، الزمن الذي ينساب ليس له ساعات، لكن بما أن كل واحد يعيش في عطالة تامة، فإن الملل هنا يصبح مستحيلاً.

ماذا كنت أريد إلى حدود هذا اليوم؟ لماذا أغتم؟ أوه! لكني الآن أعرف، خارج الزمن، الحديقة التي يستريح فيها الزمن بلد مغلق، هادئ، شبيه بمنطقة (أركادي Arcadie...!) لقد عثرت على مكان الراحة.

هنا السلوك اللامبالي يقطف كل لحظة بلا ملاحقة، اللحظة تكرر نفسها دون كلل، الساعة تعيد الساعة، واليوم يكرر اليوم.

ثغاء القطيع في الليل، غناء القصباءات المتموج تحت النخيل، هديل طائر الورشان اللامتناهي، أيتها الطبيعة التي بلا هدف، بلا حدود، بلا تغير، عندما تبسمين هكذا في وجه أكثر الشعراء عذوبة، فإنك - في عيني الورعة - تبسمين لي...

رأيت في الليلة الماء المحبوس ينتشر، يرطب الحديقة ليروي عطش النباتات، طفلاً أسود البشرة، حافي القدمين داخل المسقى، يوجه حسب رغبته الري الموجه بطريقة جيدة، يفتح أو يغلق في الطين سدوداً صغيرة، كل سد يصب الماء عند كل شجرة معنية، على الجذع - تحديداً - رأيت هذا الماء يصعد من الحفر المتشققة مثقلاً بالتراب، دافئاً، ويعطيه شعاع الشمس لوناً أصفر، وفي الأخير يأتي الماء الفائض بغزارة من كل الجهات، ليغمر سيقان الشعير.

نصوصُ الرَّأي

المَقالاتُ

المقالة

المقالة هي قطعة نثرية ذات طول معتدل، يتناول فيها الكاتب بعض القضايا الخاصة أو العامة من وجهة نظره الخاصة، ولذلك تصنف المقالة على أنها من نصوص الرأي؛ لأنها في الغالب تعبر عن رأي كاتبها في الموضوع الذي يتناوله بالكتابة.

وعلى الرغم من أن المقالة نوع حديث من الكتابة، إلا أن له بذورًا موعلة في القدم في الآداب القديمة. وقد ظهرت بذور المقالة في الأدب العربي منذ القرن الثاني للهجرة في الرسائل الأدبية، وما تحويه من موضوعات مثل الإخوانيات، وما تتضمنه من مناظرات ومسامرات وموضوعات أخرى، تفرّد بها الشعر، كالغزل والمديح والهجاء والفخر والوصف، رغم الأسلوب الإنشائي والصنعة اللفظية. وتعدّ رسالة «صفة الإمام العادل» للحسن البصري التي كتبها إلى الخليفة عمر بن عبد العزيز، بطلب منه واصفًا فيها الإمام (الخليفة) العادل مثلاً جيّداً على المقالة الأخلاقية الوعظية.

أما المقالة في العصر الحديث فقد ارتبطت بظهور الصحافة، ونشأت في حضنها، وقد ذكر محمود نجم للمقالة أربعة أطوار، هي:

الطور الأول: يضم كُتّاب الصحف الرسمية، مثل رفاعه رافع الطهطاوي، وميخائيل عبد السيد، وعبد الله أبو السعود، ومحمد أنسي، وتمتدّ حتّى الثورة العربية. وقد نشروا مقالاتهم في «الوقائع المصرية» و«وادي النيل» و«الوطن» و«روضة الأخبار» و«مرآة الشرق»، وتناولوا المواضيع السياسية، وتميز أسلوبهم بكثرة استخدام المحسنات البديعية والزخرف اللفظي.

الطور الثاني: تأثر بنشأة الحزب الوطني الأول، وبروح الثورة التي سبقت الحركة العربية، وبالأدباء السوريين الذين استقروا في مصر، ولعبوا دورًا كبيرًا في تطوير المقالة. من أبرز كُتّاب هذا الطور: أديب إسحق، وسليم النقاش، وسعيد البستاني، وعبد الله نديم، ومحمد عبده، وإبراهيم المويلحي، ومحمد عثمان جلال، وعبد الرحمن الكواكبي، وبشارة تقلا. ومن أهم الصحف التي كتبوا فيها نذكر «الأهرام» و«مصر» و«الفلاح» و«الحقوق»، وقد تناولت مقالاتهم مواضيع اجتماعية، وقد تحللت من الصنعة اللفظية.

الطور الثالث: ظهرت في هذا الطور مدرسة صحفية حديثة، نشأت في عهد الاحتلال الانكليزي لمصر، من أبرز روادها: علي يوسف، ومصطفى كامل، وعبد العزيز جويش، وولي الدين يكن، وسليم سرريس، ومحمد رشيد رضا، وخليل مطران، وأحمد لطفي السيد، كما ظهرت صحف ناطقة باسم أحزاب سياسية، فكان الزعيم مصطفى كامل الناطق باسم الحزب الوطني ينشر مقالاته في جريدة «اللواء»، وكان أحمد لطفي السيد يمثل حزب الأمة، وينشر مقالاته السياسية والفكرية في جريدة «الجريدة».

الطور الرابع: المدرسة الحديثة التي تبدأ بالحرب العالمية الأولى وبأحداث ثورة 1919 المصرية، وقد ظهرت في هذه الفترة صحف تركت أثرها في كتابة المقالة مثل جريدة «السفور» لعبد الحميد حمدي، و«الاستقلال» لمحمود عزمي، وقد شارك في تحريرها طه حسين، وجريدة «السياسة» لمحمد حسين هيكل، وكانت ناطقة باسم حزب الأحرار الدستوريين، وجريدة «البلاغ» لعبد القادر حمزة، وجريدة «الأسبوع» لإبراهيم عبد القادر المازني، وقد تناولت المقالة في هذا الطور مواضيع سياسية، وتميز أسلوبها بالوضوح والدقة.

وواضح أن هذه الأطوار تركّز على تطور المقالة في مصر، وقد أشار محمود نجم نفسه إلى أن المقالة الصحفية في لبنان كانت أسرع تطوراً من المقالة في مصر.

ومنذ ذلك الوقت قطعت المقالة، على اختلاف أنواعها، شوطاً كبيراً، فصار لكل بلد كُتّابه، وتنوّعت موضوعات المقالة، وقضاياها، وتطورت أساليبها، وصارت المقالة من أكثر أشكال الكتابة شيوعاً وانتشاراً.

ولا شك أن لكتابة المقالة أصولاً يلتزم بها الكُتّاب، منها: تحرّي الدقة في نقل المعلومات، والموضوعية في عرض وجهات النظر، والصدق والعدالة، وعدم التحيز، واللغة السليمة المشرقة الواضحة.

إشارات يرسلها الشهداء الدكتورة فاطمة الصايغ

احتفالاً بنا بيومنا الوطني الرابع والأربعين سوف تكون مغايرة. ففي هذا العام تعود ذكرى الثاني من ديسمبر وقد تكررست في نفوس أبناء الاتحاد قيم عدة، بعضها عرفها، وعركها بمعناها العفوي البسيط، والبعض الآخر يتعرف الآن عن قرب بمعناها الواقعي والفعلي.

ذكرى اليوم الوطني هذا العام تتواكب مع ذكرى يوم الشهيد؛ وهو اليوم 30 من نوفمبر، وهو اليوم الذي خصصته الإمارات لذكرى جميع شهدائنا. أعيادنا الوطنية تعود هذا العام ولدى أبناء الإمارات مخزون أكبر من الولاء للوطن والانتماء له، والرغبة في التضحية لأجله.

عرف تاريخ الإمارات شهداء ضحوا بأرواحهم في سبيله منذ قيام الاتحاد وتقديم أول شهيد: هو سالم سهيل خميس الذي ضرب أروع نماذج البطولة عندما تصدى بسلاحه البسيط لقوة قوائمها البطش والجبروت، وهو يدافع عن أرضه ووطنه في جزيرة طنب الكبرى، وظلّ مرابطاً يدافع عن أرضه حتى سقط أول شهيد في تاريخ دولة الإمارات، وذلك يوم 30 نوفمبر 1971.

فلا غرو أن يتم اختيار ذلك التاريخ يوماً للشهيد، خاصة بعد أن قدمت الإمارات ثلة أخرى من شبابها شهداء ومدافعين عن قيم المواطنة والانتماء. فقد دخلت الإمارات هذا العام طرفاً في التحالف العربي لإعادة الشرعية في اليمن، هذا التحالف الذي يشن حتى هذه اللحظات حرباً ضروساً في اليمن ضد المتمردين الذين اغتصبوا الشرعية.

احتفالاً بنا بيوم الشهيد هذا العام سوف ترسل إشارات قوية ومتعددة للعديد من الأطراف، أولى تلك الإشارات للذين تسول لهم أنفسهم التفكير في خيانة الوطن أو الاعتداء على عرضه أو تهديد القيم الحضارية التي يقوم عليها.

إنها إشارة قوية لكل شخص مقيم على أرض هذه الدولة للمواطن والمقيم بأن دولة الإمارات تدخل الآن عصرًا جديدًا في تاريخها، وتفتح صفحة جديدة مستمدة من تضحيات

أبنائها، ومن كل قطرة دم أريقَتْ في سبيلِ العزّة والقيمِ الإيجابية التي قامَ عليها هذا الوطنُ. ثاني تلك الإشاراتِ ما يختصُّ باللّحمية الاجتماعية، وتوحدُ الرّؤى والمواقفِ الوطنيّة بين أبناء الوطنِ من أقصاه إلى أقصاه قيادةً وشعباً، وهذا يفتدُ المزاعم التي قد تظهرُ بينَ الفينة والأخرى عن اختلافِ المواقفِ تجاه القضايا المصيريّة والكبرى التي تخصُّنا جميعاً.

فما حدثَ وحدنا ولم يفرّقنا، ووحدَ مواقفنا، ولم يفرّقها، ووجهَ بوصلتنا تجاه قضية واحدة؛ وهي أنّ أمننا من أمنِ وطننا، وأنّ قضية الأمنِ القومي لا تتجزأ أبداً.

ثالثُ تلك الإشاراتِ ما يتعلّق بتعميقِ الولاء والانتماء للوطنِ بينَ جيلِ الشّبابِ بالتحديد، ذلك الجيلُ الذي لم يحضرِ البناءَ الأوّل للاتّحاد، ولم يشهدْ سقوطَ أوّل شهيد، ولكّنه بالتحديد شهدَ ارتفاعَ علَمِ الإماراتِ عاليًا بينَ الأمم، وشهدَ سقوطَ ثلّةٍ من شبابِ الإماراتِ دفاعاً عن قيمِ الإماراتِ الحضاريّة وواجباتها القوميّة.

هذا الشّبابُ الذي نالَ حظّاً وافراً من رفاهِ الإماراتِ ورفاهيّتها لم تُلهِه الحياةُ بملذّاتها الماديّة عن ولائه لوطنه وانتمائه لها، بل عرّكته الأحداثُ الأخيرة لتخلّق منه شباباً واعياً لدوره في بناءِ الوطن، وواعياً لما تقومُ به الإماراتُ من تضحياتٍ من أجلِ أمنِ الإماراتِ، وأمنِ منطقة الخليجِ ككلّ.

إنّ شهداءنا الذين سقطوا دفاعاً عن مكتسباتنا يقومون يومياً بإرسالِ إشاراتٍ قويّة لكلِّ مواطنٍ ومقيمٍ على أرضِ هذه الدّولة، إشاراتٍ فخرٍ وتقديرٍ لكلِّ جنديٍّ اختطَّ لنفسه مساراً وطنياً يملؤنا جميعاً فخراً واعتزازاً بجنودنا البواسل الذين لا يزالون على خطِّ النّار، وإشاراتٍ لشبابنا بأنّ الحياةَ ليستُ رفاهاً وملذاتٍ، بل قيمٌ يجبُ إعلاؤها، وولاءٌ للوطنِ يجبُ إظهاره.

كما أنّ شهداءنا يرسلون إشاراتٍ قويّة لكلِّ من تُسوّل له نفسه العبثَ بأمنِ الوطنِ أو خيانتَه أو التّفكيرِ في الاعتداء عليه. تلك هي بعضُ من الإشاراتِ التي يرسلها شهداؤنا ونستقبلها نحنُ بكلِّ فخرٍ واعتزازٍ وتقديرٍ.

إنّ احتفالنا باليومِ الوطنيّ ويومِ الشّهيد هذا العام سوف تظلُّ في ذاكرتنا وذاكرة الأجيالِ الجديدة لفترةٍ طويلةٍ مُقبلّة ليسَ لكونها المرّة الأولى التي نُخصّصُ فيها يوماً للشّهيد، ولكن لكونها المرّة الأولى التي نحضنُ فيها مناسبتينِ غاليتينِ على قلوبنا، مناسبتينِ توحدنا

وَتُبَّتَانِ تِلَاحَمَنَا الْوُطْنِيَّ وَالْاجْتِمَاعِيَّ، وَتُبَّتَانِ وِلَاءَنَا وَحُبَّنَا لِلْإِمَارَاتِ.

وَلَا نَنْسَى فِي هَذِهِ الْمُنَاسِبَةِ أَيْضًا أَسْرَ الشَّهْدَاءِ الَّذِينَ قَدَّمُوا فَلذَاتِ أَكْبَادِهِمْ فِدَاءً لِلْوَطَنِ،
وَنَقُولُ لَهُمْ: إِنَّا جَمِيعًا مَعَكُمْ، نَشْدُ عَلَى أَيْدِيكُمْ، وَنَتَذَكَّرُ مَعَكُمْ أَنَّ أَعْلَى شَيْءٍ لَدِينَا هُوَ
الْوَطَنُ.



2016 التعليم ثم التعليم

د. خالد الخاجة



الدكتور خالد الخاجة
عميد كلية الإعلام والمعلومات
في جامعة عجمان

باعتباره خطّ الدفاع الأول في الدفاع عما حقّقته دولتنا من مُكتسبات، وباعتباره الثروة الحقيقية التي لا تنضب، بل هي الثروة التي تتجدّد مع كلّ فكرة جديدة من عقل يَبر في أيّ مرحلة على سُلّم التعليم، كما أنّه الاستثمار المحكّوم بنجاحه حتمًا، وهو الباب الواسع لتقدّم الأمم وارتقائها على سُلّم الرّفاه الحضاريّ.

كما أنّه المضمّار الذي تتسابق فيه الأمم والشعوب للوصول إلى ذروة سنام الحضارة الإنسانية، فلا حضارة ولا تقدّم دون علم، ولا علم حقيقياً دون تعليم متين، ولا تعليم متيناً دون إدراكٍ لدوره في حياة الإنسان، وتوظيفه في حلّ ما يواجهه من مُشكلات، ويُجابهه من تحديات، ولا قدرةً للتعليم على فعل ذلك دون وضع برامج تعليمية ومناهج معنيّة ببناء الشخصية، في الوقت الذي تزوّد فيه بالمعلومة، وتُكسبه المهارة.

ولأنّ الأمر على هذا النحو، فإنّ تطلّعاتي، وإن شئت الدقّة، من أمنيّاتي لعام 2016، أن يكون المُخرَج التعليمي، وبخاصّة في مراحل الأولى، قادراً على تلبية طموحات القيادة السياسيّة الرشيدة، التي تدفع بزخمٍ شديد على طريق الارتقاء بمنظومتها.

أمنيّاتي أن يُدرك العاملون بالحقل التعليمي أنّهم يشاركون بمخرجاتهم في صناعة مستقبل الوطن، لأنّ أطفال اليوم هم كبار الغد، وعلى قدر علمهم يكون مستوى عملهم، وما يحملونه من صفات إنسانية ومهارات نوعيّة، تحدّد قيمة ما يقدمونه وجودته، وأنّ الطفل في مراحل تعلّمه المختلفة، يقضي في مدرسته ومع مُعلّميه وقتاً أضعاف ما يمكنه مع أفراد أسرته، ما يضاعف من تأثيرهم، فلتكن التّنشئة موازيةً للتعليم.

رغم الاتجاه إلى الحدّاث واستخدام التكنولوجيا في التعليم، إلّا أنّه يجب أن تكون التكنولوجيا مُعظّمة لما يكتسبه الطالب؛ لا تخصّم من رصيده على أهميّتها. «الشاهد» أن الاعتماد على لوحة المفاتيح في الكتابة ضاعّت معه مهارات الكتابة بخط اليد،

© جريدة البيان، 29 ديسمبر 2015.

فضلاً عن الكتابة الصحيحة؛ في ظل الاعتماد على المُصحح اللغوي خلال الكتابة، وهو ما يربك الطالب في الجامعة حين يُقدّم طلباً، أو يُعبر عن موقفٍ مرّ به، وتطلبه أن يكتب ذلك.

إنّ الحصص الخاصة بالخط العربي، يجب أن تعود، لأن الخط العربي لا يُستخدم للكتابة فحسب، ولكن مجاله واسع في تخصصات التصميم (الغرافيك) والفنون الجميلة، فكيف بمن يعوزه التعبير به أن يرى فيه جمالاً، وهذا لن يتأتى إلا إذا شعر الطالب بجمال اللغة، وجمالها لن يعرفه من لم يقرأ، فالقراءة هي الباب الواسع لحُبّ العربيّة وإدراك كنوزها، لذا، وجب أن تعود حصّة المكتبة، حتّى لو لم يخرج الطالب منها بغير قراءة عناوين الكتب، فمن يقرأ العنوان، حتماً يوماً سيقف عند أحدها ليستكشف محتواه، لتبدأ الحكاية.

ولأنّ من يدرك الجمال في الحياة والكون وحركة الناس من حوله، يصعب أن تجده يوماً فريسةً للفوضى والتعصب، لذا، وجب أن يُعاد الاهتمام بالتربية الفنية التي تُهذّب النفس، وتُرفّي الذوق، وتضبط السلوك، وتُنمّي الإحساس، وتجعل الفرد قادراً على رؤية محاسن الحياة وتجلياتها وجمال خالقها، فضلاً عن الإذاعة المدرسية، بما تحويه من موادّ تُنمّي لديه مهارات الاتصال والتواصل مع الآخرين، ليكتشف الطالب، ونحن معه، مهارات ومواهب لم يكن لها أن تكون إلا بهذه النشاطات.

والحق أن التطلّع إلى المنظومة التعليمية وتمني الارتقاء بها في العام الجديد، ذلك لأنّ الأمنيات كافة لعام 2016، تجد أنها تبدأ بالتعليم، أو تجده قاسماً مشتركاً أعظم فيها، فمن يتمنى أن تظل الإمارات واحة الأمن وقبلة الباحثين عنه والفارين من أتون التعصب والمحن، لن يكون ذلك إلا عبر تعليم يؤكد أن الأمن أولاً، هو ما قاله رسول الله ﷺ حين قال: «من بات آمناً في سربه»، ومن يتمنى أن يحفظه الله من كل داء.

فلن يكون ذلك إلا بتعليم قادر على تخريج كفاءات نوعيّة تملك أدوات عصرها، من دأب البحث والقدرة على الابتكار، إدراكاً منها لقيمة ما تقوم به، لأنّه ما قاله الرسول الكريم ﷺ بعد الأمن «معافى في بدنه»، فعافية الأبدان من مُتطلبات الاستمتاع بباقي النعم، ومن يتمنى الحياة الرغدة، لن يكون إلا بتعليم يجعل أصحابه قادرين على

الفكر المنجز، والعمل المتقن الذي لمسهُ النَّاسُ، وهو ما اختتم به الرسول الكريم ﷺ: «يَمْلِكُ قُوَّةَ يَوْمِهِ».

بهذه الثلاثية الفدّة: الأمن والصّحة والغذاء يستطيع الإنسان أن يقوم بمتطلبات وجوده، ويعي فلسفة إعمارهِ للأرض. وبقينا إنَّ التعليم حاضراً قوياً، وحاضراً أميناً لتحقيقها على الأرض، فالجهل لا ينتج غير الفقر والمريض والتعصب.



في حياة طفلة جميلة البشري

كُنْتُ أَتَقَرَّبُ قَرَعَ جَرَسِ الْفُسْحَةِ كُلَّ يَوْمٍ؛ لِأَنْطَلِقَ رَاكِضَةً إِلَى تِلْكَ الْغُرْفَةِ الصَّغِيرَةِ الَّتِي تَتَوَسَّطُ الصَّفُوفَ الدَّرَاسِيَّةَ، وَهِيَ جَدِيدَةٌ كَأَنَّ قَدْ أُنْشِئَتْ مِنْذُ مَدَّةٍ قَصِيرَةٍ، لَا تَزَالُ تَفُوحُ مِنْهَا رَائِحَةُ الطَّلَاءِ، لَتَمْتَزَجَ بِرَائِحَةِ الْكُتُبِ وَالْوَرَقِ مَزِيجًا اخْتَزَلَتْهُ الذَّاكِرَةُ بِحُبِّ فِي صَنْدُوقِهَا الطَّفُولِيِّ إِلَى الْيَوْمِ.

لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُ أَنَّهَا مَكْتَبَةُ الْمَدْرَسَةِ، إِلَّا حِينَ رَأَيْتُ إِحْدَى الطَّالِبَاتِ تَمُرُّ بِجَانِبِي، وَلَفَتْ أَنْتَاهِي شَارَةً صَغِيرَةً مُسْتَدِيرَةً الشَّكْلِ مَثْبُتَةً أَعْلَى طَرَفِ الزِّي الْمَدْرَسِيِّ، وَقَدْ كُتِبَ عَلَيْهَا «أَصْدِقَاءُ الْمَكْتَبَةِ»، فَاجَأَتْنِي تِلْكَ الْعَلَامَةُ حَيْثُهَا، أَوْقَفْتُهَا وَسَأَلْتُهَا، مَاذَا تَعْنِي هَذِهِ الْإِشَارَةُ، فَأَفْهَمْتَنِي أَنَّهُ تَمَّ إِنْشَاءُ مَكْتَبَةٍ فِي الْمَدْرَسَةِ، وَأَنَّهُ تَمَّ اخْتِيَارُهَا ضَمْنَ مَجْمُوعَةِ أَصْدِقَاءِ الْمَكْتَبَةِ.

فِي ذَلِكَ الْعُمُرِ، لَمْ يَكُنْ يَهْمُنِي طَرَحُ مَزِيدٍ مِنَ الْأَسْئَلَةِ، هُنَاكَ شَيْءٌ أَهَمُّ فِي رَأْسِي، وَارْتَسَمَ أَمَامَ عَيْنِي. كَانَ ذَلِكَ بَعْدَ انْتِهَاءِ الدَّوَامِ الْمَدْرَسِيِّ، أَنْتَظَرْتُ بِفَارِغٍ الصَّبْرِ إِشْرَاقَ يَوْمٍ غَدٍ.

يَقِينُ أَنِّي كُنْتُ أَوَّلَ طِفْلَةٍ دَخَلَتْ بَوَابَ الْمَدْرَسَةِ صَبَاحًا، فِي يَوْمٍ شَتَوِيٍّ بَارِدٍ، هَرَعْتُ إِلَى تِلْكَ الْغُرْفَةِ الصَّغِيرَةِ الْجَدِيدَةِ الْقَابِعَةِ وَسَطَ الْمَدْرَسَةِ، طَرَقْتُ الْبَابَ، وَبِسُرْعَةٍ أَدْرْتُ الْمُقْبَضَ لِأَفْتَحَهُ، كَانَ لَا يَزَالُ مُقْفَلًا، لِأَنَّهُ لَا أَحَدٌ فِي الْمَدْرَسَةِ غَيْرِي، وَإِحْدَى الْعَامِلَاتِ الَّتِي كَانَتْ قَدْ وَصَلَتْ لِلتَّو.

أَشَارَتْ لِي بِيَدِهَا بِحِدَّةٍ مِنْ بَعِيدٍ، بِأَنِّ أَبْتَغِدُ عَنِ الْبَابِ لَا أَحَدًا بِالْدَاخِلِ، أَرَدْتُ إِيْهَامَهَا بِأَنِّي أَنْصَرَفْتُ، فَكَرِضْتُ لِلنَّاحِيَةِ الْمُقَابِلَةِ، وَاخْتَبَأْتُ بِجَانِبِ أَحَدِ الْفُصُولِ حَتَّى لَا تَرَانِي، وَمَا إِنِ اخْتَفْتُ حَتَّى عُدْتُ أَدْرَاجِي أَمَامَ الْبَابِ.

جَاءَتِ اللَّحْظَةُ الْمَهْمَةُ، أَقْبَلَتِ الْمَعْلَمَةُ، بِوَجْهِهَا الصَّبُوحِ الْهَادِي، بِصَفَاءِ النَّيْلِ وَمَنْبَعِهِ، فَتَحَتْ بَابَ الْغُرْفَةِ وَهِيَ تَنْظُرُ إِلَيَّ، مَبْتَسِمَةً، حَتَّى الْابْتِسَامَةُ الْعَذْبَةُ النَّابِعَةُ مِنْ قَلْبِ الْمَعْلَمِ، لَا يَنْسَاهَا الطِّفْلُ، وَلِهَذَا لَمْ أَنْسَهَا إِلَى الْآنِ. أَلْقَتْ عَلَيَّ تَحِيَّةَ الصَّبَاحِ وَأَنَا الطِّفْلَةُ، كَمْ أَحْسَسْتُ نَفْسِي كَبِيرَةً، لِأَنَّهَا قَالَتْ لِي صَبَاحَ الْخَيْرِ، بِكُلِّ حَنَانٍ وَمَحَبَّةٍ، وَأَنَا كَعُفْلَةٍ الْإِضْبَعِ أُمَامَهَا، رَدَدْتُ

التّحية بكلّ أدب وسعادة.

دخلتِ المعلّمة الغرفة، وهناك كائنٌ صغيرٌ خلفها يتبعها، وما إن جَلَسْتُ على الكرسيّ خلف الطاولة، دخلتُ أنا في الموضوع مباشرةً..

قُلْتُ لها: إنني أحبُّ القراءة، وأريدُ أن أقرأ كلّ الكتبِ التي في المكتبة، فهل تأذنين لي بأن آخذ كلّ يوم مجموعةً لأقرأها، وهل يمكنُ أن أكونَ صديقةً للمكتبة؟ كانتَ تنظرُ إليّ وهي مبتسمةٌ، وسألتني: ألهذه الدرجة تُحبّين القراءة! قُلْتُ: نَعَمْ، وبإمكاني أن أساعدكِ في قراءة كلّ الكتبِ. ضحكّت، وسألتني: في أيِّ صفٍّ أنت؟ فأجبتُ: في الصفِّ الرابع. قالت: نحنُ نأخذ طالباتِ الصفِّ السادسِ فقط... ولكنني سأخذكِ ضمنَ المجموعة؛ لأنكِ تُحبّين القراءة.

أجلستني وناولتني قصّةً، وقالت: أريدُكِ أن تقرئي لي، كانتَ قصّةُ «الجميلة والوحش»، بغلافها الأخضرِ ورسوماتها الجميلة، بدأتُ أقرأ، ونسيْتُ وجودَ المعلّمة، إلى أن استوقفتني عن المتابعة..

وأنتت على إجادتي للقراءة باللّغة العربيّة، وحُسنُ نُطقي للحروفِ وسلامتي في هذه السنِّ الصّغيرة. ذلك الثناء الذي يعطي التلميذَ دفعةً معنويّةً، تجعلهُ يثقُ بنفسه، ويمضي بصحّةٍ منهجه في أوّلِ مراحلِ حياته الدّراسيّة.

تلكَ السنّة قرأتُ كلّ ما تحتويه سلسلةُ «المكتبة الخضراء» من قصصِ الأطفال، بالإضافة إلى قصصِ دورِ النّشر الأخرى، ومجلاّت الأطفال والألغاز، وروايات (أغانا كريستي) البوليسيّة، ولم أنتهِ من الصفِّ السادس، إلّا وقد عَرَجْتُ على روائعِ الأدبِ العالميّ.

اقتَرَحْتُ يوماً على والدي -رحمه الله- أن يصحبنا أنا وإخوتي بانتظامٍ إلى المكتبة؛ لاختارَ كلّ منّا كتاباً ويقرّؤه، وكانَ اختياري يومها رائعةَ الأدبِ العالميّ «البؤساء»، للكاتبِ الفرنسيّ (فيكتور هوغو)، وفي النهاية، كانتِ الحصيلّةُ أن قُمْتُ بجمع كلّ ما اختاره إخوتي من كُتب؛ لأودّعها أرففَ مكتبتي الصّغيرة، التي كَبُرَتْ معي، فصرتُ الآن أمتلكُ مكتبةً رائعةً، هي حياتي ومصدرُ سعادتي.

أجملُ الأيام، حينَ يبدأُ معرضُ الكتاب، وكأنّ بحرًا من العلومِ والمعرفة قد أرسى سفينتَهُ

أمام كلُّ مُحبٍّ للقراءة؛ لينهلَ منه، أيامٌ قليلةٌ، ولكنها عظيمةُ الفائدةِ.

ومَعَ كُلِّ رحلةٍ، تحملُ حقيبةُ سَفري كُتُبًا، أصحَّها وتصحَّني؛ لأعودُ مُحَمَّلَةً بكتبٍ من ثقافةِ البلدِ محلَّ الزيارة، وكَمَ تَلَفُتُنِي مشاهدُ الشُّعوبِ القارئةِ مِنْ مختلفِ الأعمارِ في جميعِ المرافقِ، مُتَمَنِّيةً أَنْ نعيشَها نحنُ كأسلوبِ حياةٍ.

مناسبةٌ كتابتي لفصلٍ مِنْ أجملِ مراحلِ الطفولةِ، هي مُبادرةُ سيدي صاحبِ السَّموِّ الشيخِ خليفة بن زايد آل نهيان رئيسِ الدولة - حفظه الله - بتخصيصِ عامٍ 2016 عامَ القراءةِ في الإماراتِ، لترسيخِ القراءةِ كعادةٍ مجتمعيَّةٍ شعبيَّةٍ شبابيَّةٍ في مجتمعنا.

الخلاصةُ، أنَّ البُنيانَ يبدأ مِنْ الصَّغَرِ، اللَّبَنَةُ الأولى هي المكتبةُ، وهناك الجزءُ المهمُّ، وهو أمانةُ المكتبةِ، فلو كانتْ صَليَةً وَسَخَرَتْ مِنِّي أو تجاهَلتُنِي، رَبُّمَا كُنْتُ كَرِهْتُ وَنَفَرْتُ مِنْ القراءةِ بسببِها، وَهناكَ أَبٌ شَجَّعَ أبناءَهُ على القراءةِ ودعمَهُم، بالإضافةِ إلى الموادِّ الشَّائقةِ والبرامجِ التثقيفيَّةِ المتنوعةِ الهادفةِ التي تُثري العقلَ بالمدخلاتِ السَّليمةِ.

الرَّهانُ على الأطفالِ.

اترك بصمة إنجازك شيخة المسكريّة

الكلُّ يردّد دائماً على مسامعنا جُملة «الحياة قصيرة»، بقصد أن عليك أن تعيشها كما تتمنى، وتُفعل ما تشاء وتشتهي، وما الحياة إلا محطة، والإنسان زائرٌ، فليحسّن الزيارة، وما أسمى أن يكون للإنسان هدفٌ كأن يُفيد غيره من الناس، ويعمل على خدمة وطنه.

كلُّنا نريد أن نترك بصمة خلفنا؛ ليتذكّرنا بها الجميع.. فماذا ستكون بصمتك؟ ماذا لو مُنحت الفرصة لتكون فرداً فاعلاً في مجال تُحبه، وما عليك إلا أن تُثبت جدارتك فيه؟ كيف نريد أن يتذكرك الناس؟ أتودّ أن يتذكروك باسمك من خلال أعمالك وإنجازاتك، أم أن يتذكروك من خلال أعمال وإنجازات شخص آخر، فيحاولوا أن يجدوا صلة قرابة بينك وبين شخص يعرفونه؟ فتصبح اسماً مُلتصقاً كدودة طفيلية على ظهر شخص ذي أهمية!

تمرُّ الأيام سريعة الوتيرة، ويظلُّ الكثيرون كما هم في أماكنهم لم يُضيفوا شيئاً على هذه الحياة سوى زفريات الأسي، ينظرون إلى أنفسهم وسنين أعمارهم تطويها الأيام طياً بلا أفعال تُخلّد، ولا إنجازات تُذكر، ولا أشخاص يحملون لهم أي نوع من الامتنان.

باختصار، هي بطلالة حقيقة! ووسط التَّخبط بين المظاهر والمعاناة وغياب الحوار، هناك جيلٌ من الشباب يملك طاقات جبارة ومواهب مذهلة تنتظر أن تنفجر، ولكنها تنجرف مع التيار وتتبع ما يُمليه عليها المجتمع من ميول، فيبدأ في تسخير طاقاته في أمور عقيمة، ويدور حول حلقة مُفرغة لا يعلم كيف يخرج منها. وهذا ما نشاهد في نطاقات العالم الافتراضي، وكل ما يحتويه من مشاركات تصدر من عالمنا العربي، فمعظم ما نُقدّمه للعالم لا يرتقي للمستويات التي نتمنى أن نرى أنفسنا عليها.

لطالما كان شغلنا الشاغل كيفية توظيف طاقات شبابنا في مختلف المجالات، ثمّ توجيهها لخدمة هدفٍ أسمى وأكبر. والمشكلة الحقيقية تكمن في أن البعض ما عاد يؤمن بقدرات الشباب، فأصبح يُحبطهم، ولا يأخذهم على محمل الجدّ، فشريحة كبيرة منهم مُستهترّة، وغير مُبالية، وأصبحنا نطبّق هذه النظرة على الجميع ظناً أنّهم جميعاً هكذا. البعض من

الشباب ضائعون بالفعل، ولكن الكثيرين يحتاجون فقط لبعض التوجيه.

الشباب يملكون حماسة عالية، ومنهم من يملك أفكاراً إبداعية، فنظرتهم للأمور مختلفة عن نظرة المسؤولين أو أصحاب الخبرات، فنظرة الشباب لها زاوية لم تصطبغ بعد بفعل المؤثرات الخارجية، وهذه الزاوية مهمة جداً لأنها تُعطي أبعاداً مختلفة للمشاريع، وأفكاراً جديدة قلماً يستطيع الوصول إليها غيرهم، وهي أمورٌ كن يستطيع رؤيتها المسؤولون أو أصحاب الخبرات.

ولو أخذنا مثلاً على تخليص مُعاملة، وتخيّلنا شخصين، أحدهما شاب، والآخر كبير في السن، ينتظران إتمام نفس المعاملة الروتينية الطويلة التي تتطلب 40 خطوة، ويتساءلان لم تأخذ وقتاً طويلاً؟ فيأتيهما الرد: هي هكذا منذ عشرين سنة، فسيرد كبير السن: لا حول ولا قوة إلا بالله.

أما الشاب فيرد بورقة وقلم؛ ليجد طريقة يقترح فيها اختصار عدد خطوات أداء هذه المعاملة من 40 إلى 18، تحسيناً للأداء، ومن باب خدمة المتعامل (بطبيعة الحال لم يتغير شيء، فهم معتادون عليها مثلما هي منذ عشرين عاماً) ومن الشباب من يقوم بإنشاء مشاريع صغيرة على صفحات «الإنترنت».

وتتم مهاجمتهم بشكل شبه يومي من أهاليهم الذين لا يوافقونهم على تضيقهم لساعات النهار أمام هذه التطبيقات، أو من أناس من العالم الافتراضي لا يعرفونهم البتة، يتعرضون لهم، ويتهجمون عليهم، ويسببون لهم، وينقدونهم حتى يصلوا لدرجة الإحباط المزري! يُصاب الشباب بالإحباط وهم يقترحون كل هذه التغييرات التي تُصب في مصلحة العموم، ولتحسين الأداء، ثم يُفاجؤون بردود غير مُقنعة كهذه، والأكثر مرارة عندما يقترحون بعض الأفكار، ويتم انتقادها بشكلٍ لاذع!

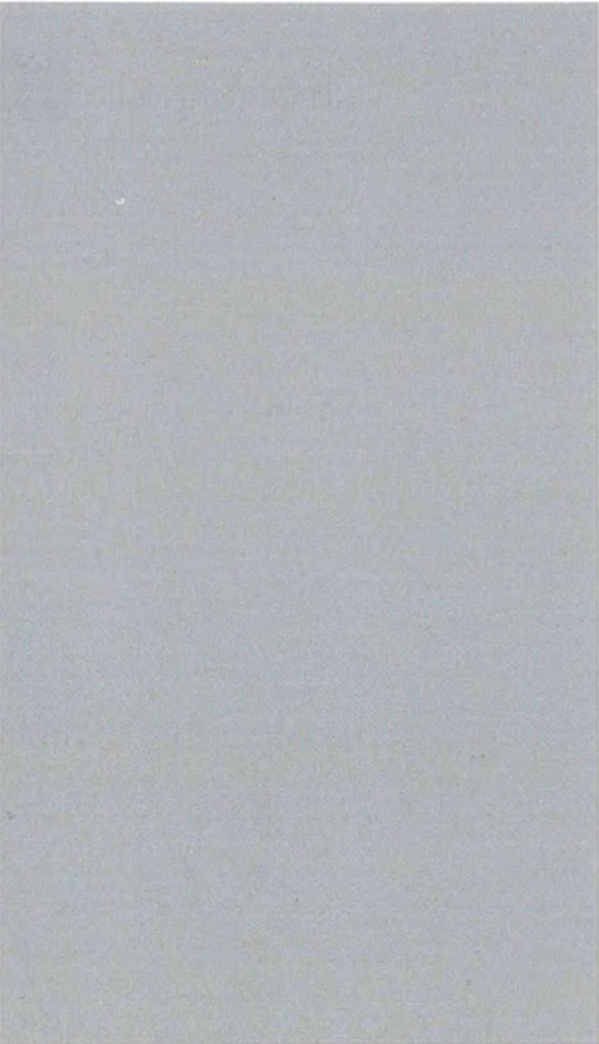
توجيه سهام الانتقاد سهل جداً، وأصبح من هواية البعض الانتقاص من أعمال الآخرين، والإشارة إلى مواضع الخطأ بغرض تحقير جهودهم. يبحثون عن أي نقطة سلبية في العمل أو المشروع؛ ليثيروا ضجة حولها، وليس بهدف تحسين الشيء؛ فيصاب الشباب بالإحباط الشديد، فيتوقفون عن التفكير، وعن الأداء، وعن التقديم! والشباب المبدعون في المحيط من حولهم يصابون بنفس الداء، فيصابون بعقدة الخوف أيضاً من أن يكون مصيرهم مثل

مصير أصحابهم، فلا يجرؤون على التفكير في خوض التجربة أصلاً! ولكن علينا تشجيعهم، فهُمْ وقود الإبداع لمستقبل الغد الجميل.. هُمْ مَنْ سيقود عالمنا العربي، وينهض به من خلال أعمالهم الرائعة.. الفرص متوفرة؛ لإثبات وجودهم والوسائل كذلك، والإمارات هي البيئة المناسبة لاستضافة كل مبدع!

وهذا هو صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم نائب رئيس الدولة، رئيس مجلس الوزراء، حاكم دبي - رعاه الله - يُطلق مبادرة هي الأولى من نوعها في العالم العربي، وهي كشعلة نور للشباب، وكل من يعمل جاهداً ليحدث فرقاً إيجابياً في العالم الافتراضي، بإطلاقه للجائزة العربية للإعلام الاجتماعي، التي تهدف إلى تسليط الضوء على الأفراد والمؤسسات الذين يخدمون المجتمع من خلال القضايا التي تمسّه، وتحفز التفكير الإبداعي، وتنمي قدرات المجتمع؛ مما يسهم في بناء الوطن والإنسان.

الجائزة تركز على ثلاثة محاور أساسية، هي: التواصل والإبداع والتأثير في مجالات مهمة مختلفة، وما على الشباب إلا اختيار المحاور التي تهتمهم، والتركيز عليها.

لا تخرج من الدنيا كما دخلتها خالياً من الإنجاز، بل تواصل، وأبدع، وأترك أثراً.. اقتنص الفرصة: هذه هي بصمتك..



الأعمدة الصحفية



العمود الصحفي

يعدّ العمود الصحفيّ من أكثر أشكال الكتابة الصحفية انتشاراً، ومقروئية؛ وذلك لأنه يجمع بين قصر المساحة وواقعية القضايا التي يتحدث عنها، وملاصقتها لمشكلات المجتمع، وقضايا الناس.

ولذلك فالعمود الصحفيّ من أهم المصادر التي تمنح القارئ فكرة واسعة عن طبيعة المجتمع، وأهم قضاياها الحيويّة، فهو يشبه المرآة في أنه يعكس ما تمرور به الحياة في مجتمع من المجتمعات في فترة زمنية معينة.

ويمكن تعريف العمود الصحفيّ بأنه نوع خاص من نصوص الرّأي، ينشر بانتظام في صحيفة أو مجلة في مكان ثابت، وتحت مسمى ثابت، وبمساحة ثابتة لا تتغير، ويعبّر عن فكر كاتبه، وشخصيته، وتوجهاته، ويكون الهدف منه -في الغالب- توعية القراء، أو مناقشة فكرة أو قضية يراها الكاتب مهمة.

ولعلّ أكثر ما يميّز به العمود الصحفيّ أنه ملتصق بكاتبه، يُسمّى باسمه في الغالب، ولذلك تكتسب الأعمدة الصحفية مكانتها من مكانة كاتبها، وما اشتهر به من فكريّ، وموضوعية في عرض القضايا ومناقشتها، وامتلاك لخاصية اللغة وأسرارها. ولذلك صار من المتعارف عليه في عالم الصحافة والنشر أنّ العمود الصحفيّ يعبّر عن رأي كاتبه، وليس شرطاً أن يعبّر عن موقف الصحيفة.

وبسبب ارتباط العمود الصحفيّ بكاتبه، وانتظامه في الظهور في الصحيفة أو المجلة كل يوم أو كل أسبوع فإنّ نوعاً من علاقة المودة والتقدير تنشأ بين الكاتب وقرائه، خاصة حين يحرص الكاتب على المصادقية في الطرح، والموضوعية في المعالجة، وأن يكون عادلاً وصادقاً، وأميناً وحريصاً على أن ينقل للقراء خلاصة تجربته أو فكره من دون تحيز أو ميل.

إنّ قراءة الأعمدة الصحفية ومتابعتها عن كثب تزيد من وعي القارئ، وتكشف له الكثير مما يحدث في مجتمعه، وتجعله على علم بمجريات الأمور، وتضعه أمام تنوعات من وجهات النظر والأفكار والتجارب.

العربُ تسبّبوا في غياب شمسهم!

فاطمة المزروعى

النظرة لما قدّمه العرب للحضارة الإنسانية من علوم ومخترعات ومُنجزات علمية، تنقسم إلى فئتين: الفئة الأولى تؤمن أن الحضارة العربية أسهمت بشكل فعال في الرقي بالحضارة الإنسانية، وكان للعلماء العرب الدور الأكبر في تأسيس مختلف العلوم، والفئة الأخرى تنكّر هذا الفضل، وتدّعي أن كل ما قام به العرب هو نقل العلوم من الحضارة الإغريقية إلى الشرق، مثل ما جاء به مؤلف كتاب «أثر العلم على المجتمع» (برتراند راسل) الذي يقول: «العرب رغبوا في اكتشاف حَجَرِ الفلاسفة وإكسير الحياة، وفي معرفة كيفية تحويل المعادن الرخيصة إلى ذهب، وفي أثناء تَبَعِيهِم للبحوث وراء هذه الأهداف اكتشفوا العديد من حقائق الكيمياء، لكنهم لم يتوصلوا إلى أية قوانين طبيعية مُهمّة ومُثبتة، كما بقيت تقنياتهم بدائية».

(راسل) توجه في حديثه نحو الكيمياء خصوصاً، ولم يذكر أثر العلماء العرب أو المسلمين في الطبّ أو الفيزياء أو الجبر، ورغم ذلك فإن العرب في مجال الكيمياء لم يكن شأنهم قليلاً، بل أسسوا الكيمياء، ووضعوا القوانين الطبيعية المهمة لهذا العلم، فعلى سبيل المثال العالم العربي جابر بن حيان يُعتبر هو من نقل الكيمياء من كونها مُجرّد سحر وشعوذة، أو صناعات بسيطة كالصباغة والعطور والتحنيط إلى علم عميق يدخل في جوف الأرض، ويصل إلى عنان السماء، ليدرس أعماق المادة ومكوناتها.

قرأ جابر المؤلفات اليونانية في الكيمياء، ودرسها، ولكنه لم يكن مُجرّد ناقل لهذه المؤلفات، بل عدّل، وقام بتصحيح كثير من النظريات الخطأ، فقد قال: إن الفلزات تتكوّن عن طريق تفاعل عنصر الكبريت مع الزئبق، وفسّر اختلاف الفلزات بتباين نسبة الكبريت في كلّ فلز، إذ وضع هذه النظرية رغبة في تصحيح ما جاء في أحد مؤلفات أرسطو حول تكوين الفلزات.

ترجمت كتب جابر بن حيان إلى اللاتينية، وبقيت المرجع والمنهج الأول للكيمياء ما يقارب ألف عام، ودرسها مجموعة من الكيميائيين العظام الذين قد تجد أسماءهم في مناهج مدارسنا، رغم أنهم تلاميذ لعالم عربيّ، أمثال (هولميارد وكراوس) و(سارتون)

* جريدة الرؤية: 3 ديسمبر 2012.

الذي تحدّث عن جابر قائلاً: «مِنَ المذهل أن الكُتُبَ التي ألفها جابر لا يُمكنُ أن تكونَ مِن وُضِعَ رَجُلٍ عاشَ في القرنِ الثاني للهجرة، لكثرتها ووفرة ما بها مِن معلوماتٍ!»، إذا هل يُمكنُ أن تكونَ التقنياتُ التي استخدمها جابر بن حيانَ وغيرُهُ مِنَ العلماءِ العربِ والمُسلمينَ تقنياتٍ بسيطةة؟ أو هل يُرضي العقلَ والمنطقُ أَنهم خلالَ أبحاثهم الطويلةِ في شتى العلوم لم يتوصلوا إلى حقائقٍ ونظرياتٍ علميةٍ مُثبتةٍ؟! هذهِ النقطةُ تحدّثتُ عنها الدكتورَةُ (زيغريد هونكه) في كتابها «شمسُ العربِ تسطعُ على الغربِ» عندما قالت: «إننا نقرأ 98٪ من الكُتبِ ولا نجدُ فيها إشارةً إلى فضلِ العربِ، وما أسدوهُ إلينا مِن عِلْمٍ ومعرفةٍ، إلّا تلكَ الإشارةُ العابرةُ إلى أن دَوَرَ العلماءِ العربِ لا يتعدى دورَ ساعي البريدِ الذي نقلَ إليهمُ التراثَ اليونانيَّ. العربُ ظلّوا طوالَ ثمانيةِ قُرونٍ يُشعّونَ على العالمِ عِلْماً وفناً وأدباً وحضارةً، كما أخذوا بيدَ أوروبا، ونشروا لواءَ المدنيةِ، ثُمَّ تُنكرُ أوروبا على العربِ الاعترافَ بهذا الفضلِ!».

ورغمَ أن (زيغريد) ألمانيّةُ الأصلِ والمنشأ، فإنَّ كتابها وَجّهَ نقدًا لادّعاءِ لأوروبا، عارضةً الحقائقَ حَوْلَ تاريخنا المجيدِ وأثرِهِ على العالمِ أجمعِهِ، ولكنني لا أدري كيفَ ستكونُ رَدّةُ فعلِها إذا ما رأت أن العربَ أَنفُسَهُم يُنكرونَ فضلَ عُلَمائِهِم، ويتجاهلونَهُم، ويُهْمِشونَ حضارتَهُم مَفْتونينَ بالثقافةِ الغربيّةِ، لا أكثر! رُبّما تُؤلّفُ كتابًا آخرَ بعنوانِ «العربُ تسبّبوا في غيابِ شمسِهِم».

السّعادة لا تضلّ طريقها

ناصر الظاهري

كمّ صادفنا السّعادة، ولمّ ننتبه! كمّ تعثرنا بها في طريقنا، ولمّ نتوقف! كمّ تبعث ظِلّنا، ولمّ نلتفت خلفنا! كمّ أخذتنا من أيدينا في ظلمات الطُّرقات، والليل غير صديق، لكننا هربنا منها، خفنا منها أو ساقطنا أقدامنا لمناطق العتمة، ولمّ نحفل بها! السّعادة كنهير جارٍ، لا يسوق لجيرانه إلا الخير، ولا تعرف البيوت المُحاذية له الأذى، والسّعادة قد تأتي كمطرٍ مُهمرٍ، يوقظ كلّ الأشياء باتجاه الفرح والحياة، وفجأة يحول الأمور إلى غمرة من نورٍ وسرورٍ وجورٍ.

السّعادة يمكن أن تجدّها في زاوية صغيرة تحت قَدَمي عجوزٍ، تتأبط الوقت، وخريف العمر، ولا تريد أن تسوم الوجه أو تُساوم الأيام المُتبقية من حياتها، غير أن الجوع قاتلٌ، وخلو الزمن من الأوفياء والأبرار والأبناء، يجعلها تمُدّ يدها لك، وهي في حقيقة الأمر تمُدّ السّعادة، فلا تجعل قلبك يُخطئها، ولا بصيرتك تفقدّها.

السّعادة أحياناً، تطرق باب بيتك، لكنك توصل الباب في وجهها، رغم أنها تحمل لك كلّ الخير، ما ضررك لو تركت القطعة تدخل، أو ذاك الشّحاذ لم ينهزم بخجله وحاجته، ماذا لو أخرجت من باب بيتك لأبواب بيوت الجيران خيراً كثيراً، ما ضررك لو تركت بابك مُشرعاً في وجوه خلق الله، فربما حمل لك الكثير منهم بسمّة أو رصاً أو أزاح من طريقك همّاً أو عثرة، لمّ منعت السّعادة من الدّخول لقلبك أولاً، وليبتك ثانياً؟

السّعادة قد تختبئ في ضحكة طفلٍ أو خلف زغزغة خواصر صبيّة لتبتسم عن أسنانٍ لبنية، وقد تركب جناح رسالة ضلّت طريقها، وتعثّر بريدّها، لتأتيك برُعافٍ الحبر، وزهو القلم حين يكتب ما يسطرون، تصلك، وفجأة كلّ عصافير القلب تُرفرف، مُظِلّة رأسك برداذٍ من ماء البرد، ما الضير إن اعتذرت، لمن وفيما أخطأت، وجعلت السّعادة تُسابق خطاك، تريد أن تطبع قبلة على رأسٍ انحنى بكبرياء، وجعل رائحة مسك الرضا تعبق في الأرجاء، ومنع الشّمس عن الشيطان.

*) جريدة الاتحاد، 20 يناير 2016.

الأمُّ إنْ صَحِحَتْ، كَانَتْ سَعَادَةُ الْقَلْبِ، وَالْأُخْتُ إنْ فَرِحَتْ، كَانَتْ سَعَادَةُ الْقَلْبِ، وَحَسَّ
الْبَيْتَ الْكَبِيرَ بِالْجَدِّ الْغَائِبِ وَالْأَبِ الَّذِي تَفْتَقِدُ، إنْ بَقِيَ حَيًّا بِذِكْرِهِمَا، وَمَشِيدًا بِعِزِّهِمَا، كَانَتْ
سَعَادَةُ الْقَلْبِ.

أَنْ تَدْخُلَ مَوْطِنَكَ، أَوْ تَسِيرَ لِمَدِينَتِكَ، تِلْكَ سَعَادَةٌ تَجْلُو الْقَلْبَ، وَلَا تَجْعَلُهُ فِي مَكَانِهِ، ثُمَّ
أَجْنَحَةٌ كَثِيرَةٌ تَدْعُوكَ لِلتَّحْلِيْقِ فِي فَضَاءٍ تَشْعُرُ أَنَّهُ لَا يَتَّسِعُ لَكَ وَحْدَكَ، تَرِيدُ كُلُّ الْمَوْجُودَاتِ
أَنْ تَطِيرَ مَعَكَ، فَهُنَاكَ نَبْعٌ عَذْبٌ يُسَمَّى السَّعَادَةُ، وَهُنَاكَ حَقُولٌ خَضِرَاءُ لَا يَحْدُهَا الْبَصَرُ، هِيَ
السَّعَادَةُ.. فَلَا تُغْمِضْ عَيْنَيْكَ!

رسالة سامية مريم مسعود الشحي

في الثاني عشر من مايو من كل عام يحتفي العالم بيوم التمريض العالمي، اليوم الذي يُخصّص للإشادة بهذه الفئة المعطاءة من الناس، فالتمريض ليس مهنة بحد ذاتها، أي ليس مهنة لكسب العيش فقط كالمهنة التي تُغادر بيتك من أجلها في الصباح الباكر، وتعود إليه إما مساءً أو عصرًا، وتكون قد أنجزت ما فأنك من أوراق ومعاملات ربما تكون تراكت على مكتبك، لا، بل التمريض هو ذاك الفعل الإنساني اليومي المنقسم بين جمادٍ وبشرٍ، جمادٍ مُتمثل بالأوراق والفحوصات وإحصائيات التغيير في جسد كل مريض، وإنساني بين أهائٍ بشرية وأوجاعٍ تأخذ من روح الممرض وتفاعله ما تأخذ.

كثيرٌ مِنّا، وكثيرٌ في مجتمعنا لا يعون ماهية تلك المهنة السامية بحق، أو بشكلها الحقيقي المنقسم كما أسلفت بين حيٍّ وميتٍ، بين البشر والأوراق، فبعضهم يدعون بأن التمريض مهنة سهلة تنصب فقط في خدمة المريض وأهله، تلك الصورة البائسة التي تُقلل من شأن التمريض، وتُحجّمه داخل إطار الخدمة فقط دفعت الكثير من أبناء الوطن للتخلي عنها أو عدم الاتجاه نحوها من البدء.

فالتمريض في الدولة مهنة تفتقر إلى الكادر المحلي والمواطن بشكل كبير، فنسبة المواطنين في هذه المهنة لا تتعدى الخمسة في المئة من العاملين بها، وعزوف المواطن عن دراسة التمريض، ومن ثم العمل به له أسباب كثيرة، منها كما أوضحت سابقًا النظرة الدونية التي يقع على عاتق المجتمع تغييرها، ومن ثم ربما الجزء الآخر المُتعلق بالجانب المادي الذي لا يوازي الجهد المبذول في نظير بعضهم، فيهرب الكثير نحو المهام الإدارية؛ لأنها أقل جهدًا، وأكثر مادةً.

النصوص المعلوماتية

النصوص المعلوماتية

تُعَدُّ معرفة نوع النص المقروء من أهم الإستراتيجيات التي تساعد القارئ على فهم النصوص، والتنبه إلى النقاط الجوهرية فيها، والتعمق في أفكارها ومضامينها؛ فقراءة قصيدة من الشعر تختلف عن قراءة قصة، وهذه تختلف عن قراءة نص معلوماتي، فلكل نوع من النصوص الطريقة التي تناسبه، وتناسب الغايات التي من أجلها كُتِبَ، وبسببها يقرأها القراء.

ويعد النص المعلوماتي من أكثر النصوص انتشاراً وتنوعاً في عصرنا الحاضر، ومعظم الناس يعتمدون عليه في حياتهم اليومية في أبسط الأمور وأكثرها تعقيداً؛ فعلى سبيل المثال لا الحصر، كلنا نحتاج أن نعرف حالة الطقس، أو مواعيد الصلاة، أو مواعيد الرحلات في المطارات للمسافرين، أو موقع مؤسسة ما نود أن نزررها، فمثل هذه الجداول والخرائط تسمى نصوصاً معلوماتية، فما النص المعلوماتي؟ وما الفرق بينه وبين سائر النصوص؟

النص المعلوماتي: هو أي نصٌ هدفه أن يُقدِّم معلومات للقارئ بطريقة مباشرة وواضحة، تتصف بالدقة، وتعتمد على الأدلة العلمية والحقائق. ولأن هدف النص المعلوماتي هو تقديم المعلومات فإنك ستجده في مجالات العلوم والفنون كلّها، كالفيزياء، والكيمياء، والطب، والرياضة، والصحة، والبيئة، والجغرافيا، والتاريخ، واللغة، والرسم، وتطوير الذات، وغيرها. وأكثر ما تجد النصوص المعلوماتية في المعاجم، والموسوعات، والأطالس، وكتب التعليم، والكتب المدرسية على اختلافها، والخرائط، والمقالات العلمية التي تنشر في المجلات، كما نرى في مجلة (ناشيونال جيوغرافيك) على سبيل المثال.

وأهم ما يميّز النصوص المعلوماتية اعتمادها على الحقائق والأرقام، ونتائج الدراسات العلمية، ولذلك يعتمد تقييم النص المعلوماتي على الصحة والدقة في نقل المعلومات، والتوثيق العلمي الذي يحيل إلى المصادر، وعلى الجِدَّة والتحديث، فلا ينقل النص نتائج دراسات قديمة، ويترك الحديثة منها.

ولكتابة النصوص المعلوماتية أصول وطرق معتمدة، فلا يجوز للكاتب أن يتصدى لكتابة نص معلوماتي من دون أن يلتزم بهذه الأصول التزاماً تاماً. وقد تطوّرت طرق كتابة النصوص

المعلوماتية في العصر الحديث، وصار المؤلفون يعتمدون على وسائل كثيرة تساعد القارئ على فهم المعلومات، وتنظيمها، وحفظها، وتذكرها، كالجداول، والقوائم، والأشكال والرسومات التوضيحية، والصور.

إنّ قراءة النصوص المعلوماتية تتطلب من القارئ الانتباه، والتدقيق، وإعادة تنظيم المعلومات بما يناسب أغراضه الخاصة، وهي من أكثر المهارات أهمية للطلاب، خاصة في المرحلة الجامعية.

رؤية مستقبلية للقطاع السياحي جريدة الاتحاد

تعي القيادة الرشيدة لدولة الإمارات العربية المتحدة مدى أهمية وأولوية تطوير وتنشيط القطاع السياحي، خصوصاً أن الدولة تمتلك مقومات ضخمة، تؤهلها لتكون إحدى أبرز وجهات السياحة في العالم أجمع، ومن أبرزها الموقع الجغرافي المميز الذي حباها الله به، والبنى التحتية الحديثة الصلبة، فضلاً عن الأمن والاستقرار الذي يُعدُّ أحد أبرز عوامل الجذب للسياح، لاسيما وسط موجة الإرهاب والتطرف التي تعصف بالعديد من مناطق الإقليم والعالم.

ويعتبر قطاع السياحة أحد أبرز القطاعات الداعمة للاقتصاد الوطني القائم على سياسات التنويع الاقتصادي التي اعتمدتها الدولة منذ أوائل ثمانينيات القرن الماضي، ووضع أسسها الراحل القائد -المغفور له بإذن الله- الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان -رحمه الله، ويواصل تعزيزها وتطويرها اليوم صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان -حفظه الله- ما مكن الدولة من قطع شوط كبير في مسيرتها التنموية الماضية نحو بناء اقتصاد قائم على المعرفة، وقادر على الاستدامة، ومتسلح بأدوات الإبداع والابتكار.

وقد ازدهر قطاع السياحة الإماراتي بشكل لافت للنظر في السنوات الأخيرة، بشهادة العديد من المحافل والمؤتمرات العالمية، وذلك بفضل رؤى وتوجيهات القيادة الرشيدة، وعلى رأسها صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان -رحمه الله-، حتى باتت الإمارات تحظى بموقع متميز على خريطة السياحة العالمية، بلغت الدولة كثره جهود حيثية، واستثمارات سخية بذلتها من أجل تطوير قطاعها السياحي.

وضمن هذا الإطار، جاءت توقعات «مجلس السياحة والسفر العالمي» مؤخراً، والتي أكدت أن عائدات قطاع السياحة في الإمارات ستصل إلى نحو 128.3 مليار درهم

«جريدة الاتحاد، الإمارات اليوم، عن نشرة «أخبار الساعة» الصادرة عن مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 01 أبريل 2016.

خلال العام الجاري، بنمو قدره 3.55٪ مقارنة مع 123.9 مليار درهم في عام 2015، لتصل عائدات القطاع السياحي إلى 213.4 مليار درهم بحلول عام 2026.

كما أشارت البيانات الاقتصادية للمجلس إلى أن الإمارات تصدرت دول منطقة الشرق الأوسط من حيث إنفاق السياح الدوليين لأغراض الترفيه والأعمال في الدولة خلال عام 2015 بنحو 95.5 مليار درهم (26 مليار دولار)، لتحصل على المركز الأول عربياً، والثاني عشر عالمياً، مُخطّبة متوسّط الإنفاق العالمي الذي يبلغ 26 مليار درهم (7.1 مليار دولار).

ووفقاً للمعطيات التي تشير إليها التقارير والإحصاءات المحلية والدولية، فإن فرص دولة الإمارات العربية المتحدة في تحقيق التنمية المستدامة، من خلال الاستفادة القصوى من قطاعها السياحي المتطور، تزايد يوماً بعد آخر، لاسيما أنها تمتلك العديد من المقومات التي تؤهلها لذلك، وتساعد على جذب السياح، وتوفير البيئة الفضلى للاستثمارات في مجال المشروعات السياحية.

ولعل من أبرز تلك المقومات تمتعها ببنية تحتية متطورة متمثلة في شبكة الطرق والنقل والمواصلات، ومجموعة فاخرة من الفنادق والمطاعم العالمية، فضلاً عن وجود قائمة من المشروعات السياحية الترفيهية الكبرى والمتميزة. ولا يمكن إغفال ما تتمتع به دولتنا الحبيبة من استقرار اقتصادي وسياسي يخلق بيئة من الأمن والاستقرار، ونظام قائم على تطبيق القانون، واحترام حرية الفرد في الوقت ذاته. كما أن وجود قطاع صحي متطور يطبق المعايير الدولية، يزيد من فرصة اجتذاب السياح الهادفين إلى السياحة العلاجية. هذا كله إلى جانب ما يتميز به الشعب الإماراتي من خصال وقيم أصيلة في حسن استقبال ضيوف الوطن، ومعاملتهم.

إن النمو المتوقع أن يحرزه القطاع السياحي الإماراتي، وفق رؤية «مجلس السياحة والسفر العالمي» سيكون كفيلاً بمنح هذا القطاع أحد المراكز القيادية في الاقتصاد الوطني طوال العقد الجاري، وحتى نهاية الأفق الزمني للرؤية المستقبلية لدولة الإمارات العربية المتحدة «رؤية الإمارات 2021»، لاسيما أن الدولة تتبنى سياسات

تنويع الدخل والاقتصاد المُستدام القائم على المعرفة، وخلق قطاعات غير نفطية، كخطوة استباقية، وفرت لها الحماية من تقلبات وتوترات الأوضاع الاقتصادية العالمية.

ولم تضع الدولة سقفًا لطموحاتها المُرتقبة والمتوقعة من هذا القطاع الثري الذي بات من أكبر القطاعات غير النفطية التي يُمكن الاعتماد عليها في السنوات القادمة، فما زال لدى الإمارات الكثير من الأفكار والرؤى الاستشرافية والإنجازات التي ستبهر بها العالم في هذا القطاع الحيوي.

قطار المستقبل من أبوظبي إلى لندن

د. إبراهيم الدرهمي



تَخَيَّلْ لَوْ أَنَّ قَطَارًا يَنْطَلِقُ مِنْ أَبُو ظَبْيٍ مِنْ دُونِ ضَجَّةٍ، وَلَا خَضَاتٍ، يَقْطَعُ صَحْرَاءَ الرُّبْعِ الْخَالِي، مَرُورًا بِسِلْسِلَةٍ مِنَ السَّكِكِ الْحَدِيدِيَّةِ الدَّوْلِيَّةِ، تَشُقُّ بَادِيَةَ الْأُرْدُنِّ وَرَيْفَ الشَّامِ وَهَضَابَ تُرْكِيَا، وَمِنْ نَقْفِ الْبُوسْفُورِ الَّذِي يَرْبِطُ مَدِينَةَ مُحَمَّدٍ الْفَاتِحِ بِشَقِيهَا الْأَسْيُورِيِّ وَالْأُورُوبِيِّ إِلَى بَارِيْسَ، عَبْرَ قَطَارِ «الْيُورُو سْتَار»، وَصَوْلًا إِلَى لَنْدُنْ. هَا أَنْتَ تَرَى الْأَنْهَارَ وَالْجِبَالَ، وَحَقُولَ الزَّهْوَرِ، وَمَرْوَجَ الْأَعْشَابِ، تَتَأَمَّلُ فِي مَنَازِلِ الْقُرَى وَالْبُلْدَاتِ، وَكَأَنَّ أَجْمَلَ تِلْكَ الْبُلْدَانِ تَمْتَدُّ أَمَامَكَ فِي «أَلْبُومٍ» جُغْرَافِيٍّ، تَقُومُ بِتَصْفُوحِهِ دُونَ عَنَاءٍ.

أَمَّا مَتَى ذَلِكَ الْيَوْمُ؟ فَلَا أَحَدٌ يَعْلَمُ، لَكِنْ تَوْجَدُ مُقْتَرَحَاتٌ لِمَشَارِيعِ نَقْلِ عَمَلَاقَةٍ، لَا تَهْدَفُ فَقْطُ لِرَبْطِ الدَّوَلِ بِبَعْضِهَا، وَإِنَّمَا لِرَبْطِ الْقَارَاتِ، كَمَشْرُوعِ قَطَارِ الْيَمَنِ وَجَبُوتِي فَوْقَ جَسْرِ بِطُولِ 29 كِيلُومِتْرًا عَبْرَ مَضِيقِ بَابِ الْمَنْدَبِ، يَرْبِطُ آسِيَا بِأَفْرِيْقِيَا. وَهَنَّاكَ أَفْكَارٌ أَوَّلِيَّةٌ عَنْ حَفْرِ نَقْفٍ أَسْفَلَ مَضِيقِ جَبَلِ طَارِقٍ، بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَإِسْبَانِيَا، يَرْبِطُ أَفْرِيْقِيَا بِأُورُوبَا. وَفِي طَفْرَةٍ غَيْرِ مَسْبُوقَةٍ، تَرُصِدُ دَوْلَ مَجْلِسِ التَّعَاوُنِ رُبْعَ قِيَمَةٍ مَشَارِعِهَا الْاِقْتِصَادِيَّةِ فِي مَشَارِيعِ الْقَطَارَاتِ، وَرُبَّمَا يَعُودُ ذَلِكَ لَافْتِقَارِ دَوْلِ الْمَجْلِسِ إِلَى خِدْمَاتِ النَّقْلِ بِالْقَطَارَاتِ، وَالسَّعُودِيَّةِ - فَقْطُ - لَدِيهَا مَسَارٌ لِلخَطُوطِ الرَّئِيسَةِ مِنَ السَّكِكِ الْحَدِيدِيَّةِ، أَحَدُثُهَا الْخَطُّ الْحَدِيدِيُّ الَّذِي يَرْبِطُ شِمَالَ وَوَسْطَ الْبِلَادِ بِمِينَاءِ رَأْسِ الْخَيْرِ وَجَبِيلَ عَلَى سَاحِلِ الْخَلِيجِ الْعَرَبِيِّ، إِضَافَةً إِلَى الْإِمَارَاتِ فِي دُبَيٍّ كَأَوَّلِ مَدِينَةٍ فِي دَوْلِ مَجْلِسِ التَّعَاوُنِ الْخَلِيجِيِّ فِي شَبْكَةِ «الْمَتْرُو».

لَدَى الْإِمَارَاتِ أَيْضًا مَشْرُوعُ قَطَارِ الْاِتِّحَادِ الَّذِي يُشَكِّلُ وَاحِدًا مِنْ خَطَطِ السَّكِكِ الْأَكْثَرِ طُمُوحًا فِي الْمُنَاطِقَةِ. وَالْمَشْرُوعُ جُزْءٌ مِنَ الْخَطَّةِ الْأَوَّلِيَّةِ لَتَطْوِيرِ خَطٍّ عَلَى طُولِ سَاحِلِ الْخَلِيجِ الْعَرَبِيِّ، وَالَّذِي سَيَرْبِطُ كُلَّ دَوْلِ مَجْلِسِ التَّعَاوُنِ الْخَلِيجِيِّ السَّتِّ مِنَ الْكُوَيْتِ شِمَالًا، وَحَتَّى صَالِلَةَ فِي عُْمَانَ جَنُوبًا، مَعَ إِمْكَانِيَّةِ تَمْدِيدِهِ إِلَى الْيَمَنِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ.

وَمِنْ المؤكَّد أنَّ صوتَ هذا القطارِ يحملُ معه ولادةَ مُدُنٍ وموانئ، ومُدُنٍ صناعيةٍ وتجاريةٍ وترفيهيةٍ كبرى في الإقليم.

أكثرُ ما يشدُّ الانتباهَ مِنْ بينِ كُلِّ تفاصيلِ مشروعِ قطارِ الاتحادِ أنَّ كُلَّ قطارٍ له خمسونَ عربةً، وسيكونُ بديلاً عن خمسينَ شاحنةٍ ثقيلةٍ، ممَّا يُقلِّلُ انبعاثَ ثاني أكسيد الكربونِ في سماءِ الإماراتِ، وفي حالِ تحقُّقِ توقُّعاتِ حركةِ المرورِ للقطارِ، فإنَّ الغازاتِ الدفيئةَ ستُخفَّضُ لأكثرَ مِنْ 2.2 مليونَ طنٍّ سنوياً، وهذا وحدهُ يُعادلُ وجودَ 375 ألفَ سيارةٍ على الطريقِ، أو ما يوازي زراعةَ 52 مليونَ شجرةٍ! وسينقلُ القطارُ التَّفائياتِ إلى مناطقٍ مُعالجَتِها، بعيداً عن المُدُنِ، لتحويلِها إلى مصدرٍ جديدٍ للطَّاقةِ، فضلاً عن أنَّ استخدامَ القطارِ سيُخفِّضُ مِنْ تكلفةِ الصِّيانةِ السنويةِ للطُّرُق، والمُقدَّرةُ بأكثرَ مِنْ 650 مليونَ درهمٍ في إمارةِ أبو ظبي وحدها.

خبرٌ سارٌّ آخرٌ، وهو أنَّ القطارَ سيُقلِّلُ مِنْ هفواتِ حوادثِ السَّيرِ المُروعةِ على الخطوطِ الطويلةِ للسيَّاراتِ؛ لِمَتَّعِ السَّككِ الحديديةِ بدرجةٍ عاليةٍ مِنَ الأمانِ.

لكن، هلُ بناءُ خطِّ سكةٍ حديدٍ بطولِ 1200 كم عبْرَ رمالِ الصحراءِ المُتحرِّكةِ، ورمالِ السَّبخاتِ سيتمُّ بلا تحدياتٍ؟

مِنْ الأمورِ الحاسمةِ في نجاحِ المشروعِ، أو تعثُّرِ أهدافِهِ مسألةُ اختيارِ أفضلِ التَّكنولوجياتِ المُتاحةِ في هذهِ الصِّناعةِ، مِنْ مُعدَّاتٍ، ومُقاوِلينَ، وبيوتاتِ الخبرةِ.

والجانبُ المُزعِجُ لخطِّ القطارِ هو تجمُّعُ الكُثبانِ الرَّمليَّةِ في مواسمِ هبوبِ الرِّياحِ على قُضبانِ السَّكةِ، ولعلَّ الوسيلةَ الأكثرَ كفاءةً للتَّوصُّلِ إلى حلٍّ مُستدامٍ لهذا العائقِ هو زراعةُ النباتاتِ الرَّاحفةِ، والأعشابِ المحليَّةِ على جانبي السَّكةِ لتثبيتِ الكُثبانِ الرَّمليَّةِ.

وهناكُ تقنيَّاتٌ أخرى مثلُ عملِ مساراتِ أنبوبيةٍ مِنَ الخرسانةِ للقطارِ في المناطقِ الَّتِي تشتهرُ بحركةِ الرَّمالِ.

جُزءٌ كبيرٌ مِنَ السَّكةِ سيمرُّ بمناطقِ السَّبخاتِ السَّاحليَّةِ ذاتِ الطَّبيعةِ العدوانيةِ لقُضبانِ الحديدِ، وهذهِ المُسطَّحاتُ الرَّخوةُ تُمثِّلُ مُشكلةً أخرى لوجودِ طبقاتٍ مِنَ (السَّيليكا) والرَّمالِ الكربونيةِ النَّاعمةِ الَّتِي تمتدُّ -أحياناً- لعشرةِ أمتارٍ تحتَ قشرةِ السطحِ.

وأياً كانت التّحدّيات، فالجميلُ في قطارِ الاتحادِ أنّه مازالَ مُكتنِظاً بالكثيرِ من الإستراتيجيّاتِ والطموح، فالمشروعُ عملاقٌ، وله ارتباطاتُهُ المحليّةُ والإقليميّةُ، وهو كفيلٌ بأنْ يُديرَ وجهَ المنطقةِ بأسرها نحوَ العالمِ، ولا نستغربُ ذلكَ إذا عرّفنا أنّه اختيرَ من بينِ مئةِ مشروعٍ ليكونَ «المشروعُ الإستراتيجيُّ الأوّلُ في العالمِ لسنة 2013» في المُلتقى السنويِّ السادسِ لقادةِ قطاعِ البنى التّحتيّةِ العالميِّ الذي أقيمَ في «نيويورك» مؤخّراً.

تمّ تصميمُ المشروعِ على ثلاثِ مراحلٍ، تبدأُ الأولى بنقلِ 10 آلافِ طنٍّ من حُبيباتِ الكبريتِ يومياً من حَقْلَي «شاه» و«حبشان» إلى ميناءِ «الرّويس»، وتمتدُّ المرحلةُ مِنَ الحدودِ معَ السّعوديّةِ في «الغويّفات»، على طولِ السّاحلِ إلى مشارفِ مدينةِ أبو ظبي، ومنْ هناكَ يتفرّعُ خطُّ حديدِيٌّ آخرٌ إلى «العَيْن» وإلى «عُمان»، معَ استمرارِ الخطِّ الرّئيسيِّ على طولِ السّاحلِ باتجاهِ دُبي، حيثُ يمرُّ بالقربِ منْ ميناءِ «خليفة» وميناءِ «جبلِ عليّ»، ويستمرُّ إلى الشّارقة، ليتفرّعَ مرّةً أُخرى إلى فرعين، أحدهُما إلى رأسِ الخيمة، حيثُ ميناءُ «صقير»، والآخرُ عبرَ جبالِ الحجرِ إلى الفجيرة، وبانتهاءِ تلكِ المراحلِ عامَ 2018 سيتمكّنُ الكثيرونَ من الانتقالِ بينَ مُختلفِ مناطقِ الدّولة، وإلى دولٍ أُخرى هي أبعدُ منْ نطاقِ دولِ مجلسِ التّعاونِ.



مملكة الفطريات

منذ نشأة الكون، ظهرت ممالك، وازدهرت، وزالت ممالك، واندثرت، إلا أن هناك مملكة فريدة من نوعها، ظهرت مع بداية الحياة على الأرض، واستمرت باقية حتى الآن، غير مُعرّفة بحدودٍ سياسية، ولا بعوائق جغرافية، فاستعمر أفراد هذه المملكة الأرض وباطنها، ومياه الأنهار والبحار والمُحيطات، حتى نسمات الهواء حملت أنواعاً منها، وهذه المملكة هي مملكة الفطريات، فما هي الفطريات؟

إنها كائنات حية ذات نواة حقيقية مُحاطة بغشاء نووي، ولا تحتوي الفطريات على «كلوروفيل»، تلك الصبغة السحرية التي تُساعد النبات على توليد طاقة حيوية من الضوء، تستخدمها في تكوين مواد «كربوهيدراتية» من الماء وغاز ثاني أكسيد الكربون الجوي. فالنباتات تستطيع الاعتماد على نفسها في تكوين غذائها، فهي ذاتية التغذية، أما الفطريات فهي تعتمد على غيرها في الحصول على غذائها، أي أنها غير ذاتية التغذية.

ويتركب جسم الفطر من خيوط مُتفرعة، تُعرف بـ «الهیفات»، وتنمو «الهیفات» مُشابهة، ومُكوّنة غزلاً فطرياً يُعرف بـ «الميسليوم»، إلا أن هناك أنواعاً من الفطريات لا تُكوّن خيوطاً، ولكنها تنمو مُتبرعمة مثل فطر الخميرة، وقد يستمر تبرعم الخلايا دون انفصالها، مُكوّنة سلسلة من الخلايا المُتبرعمة التي تشبه السُّبحة في شكلها.

وبعض هذه الفطريات صغير الحجم، لا يرى بالعين المُجرّدة، وبعضها كبير، والفطريات الكبيرة معروفة للإنسان منذ بداية وجوده على الأرض، وهي تُعرف -عموماً- باسم «عيش الغراب»، وهي أرقى أنواع الفطريات، والمُلك المتوج على عرش هذه المملكة.

ويُصنّف أكبر كائن حي على وجه الأرض بأنه من مملكة الفطريات، وهو ما يُعرف اليوم باسم «عيش غراب العسل» الذي اكتشفه العلماء نامياً تحت تربة الغابة القومية بالقرب من ولاية «أريجون» الأمريكية، فقد وجدوا خيوط هذا الفطر نامية بغزارة بين حبيبات التربة، تتحسّس طريقها بين الصخور وجذور الأشجار، حتى غطت مساحة قدرها تسعة كيلومترات مُربّعة، ويُقدّر وزن هذا الكائن الخُرافي بحوالي 600 طن، وبذلك يكون وزنه أثقل من أربعة

من الحيتان الزرقاء العملاقة مُجمعة، كما حسب العلماء عُمرَ هذا الفطر بنحو 2400 سنة، أي أنه بدأ في النمو نحو 350 سنة قبل الميلاد. وما زال هذا الفطر ينمو، ويتغذى، وينمو، ويتكاثر، مُحققًا رقمًا قياسيًا لأكبر كائن حي على وجه الأرض حجمًا، ووزنًا، وعُمرًا.

وأهم عمليّة يقوم بها فطر «عيش غراب العسل» أنه يُحلّل المُخلفات النباتيّة من أفرع الأشجار الميتة، والأوراق المتساقطة، فتتحوّل هذه المُخلفات إلى موادّ بسيطة قابلة للدّوبان في الماء، فتمتصّها جذور النباتات، وتتغذى عليها سائر الكائنات الحيّة الأخرى، أما المُخلفات العضويّة فتتحوّل إلى «دبال» تُحسّن قوام التّربة، وتمدّها بالعناصر الغذائيّة.

وهكذا تقوم الفطريات بدور مهمّ كعمّال نظافة للبيئة، دون ملل أو كسل، ودون إضرابات تُطالب بزيادة الأجور، وتحديد ساعات العمل، وتحسين ظروفه.

إنّ فطر «عيش غراب العسل» يُبدي شراسة واضحة تجاه الأشجار الحيّة أيضًا، ويهاجمها مُسببًا لها أمراضًا خطيرة، فإذا ماتت الشجرة تكوّنت عليها ثمار «عيش الغراب» ذات اللون العسلي، وكذلك تفعل أنواع أخرى كثيرة من فطريات «عيش الغراب» الأخرى التي لا تتردّد في مهاجمة الخشب الخام، والمنتجات الخشبيّة، وأعمدة «ال تلفون والتلغراف»، وقُضبان السكك الحديدية، وتدميرها، وقد يؤدّي ذلك إلى عواقب وخيمة.

وهناك أنواع من الفطريات الأخرى تُهاجم النباتات الاقتصاديّة، وتُسبّب لها أمراضًا خطيرة لا حصر لها، وكم أدّى ذلك إلى مجاعات وكوارث إنسانيّة، لعلّ أهمّها تلك المجاعة التي حدّثت في إيرلندا عام 1845، حينما دَمَرَ نوع من الفطريات محصول البطاطس بكامله، فلم يجد النّاس ما يأكلونه، فمات نحو مليون إنسان جائع، وهاجر مليون إنسان آخر بحثًا عن الطّعام، وظهر علّم جديد هو علّم أمراض النبات.

كما أنّ بعض الفطريات الأخرى تحتوي على موادّ سامّة تؤثر على الجهاز العصبيّ المركزيّ للإنسان، فإذا أكلها إنسان أو حيوان سبّبت له اضطرابًا في الدّورة الدّمويّة، وتشنجات عصبيّة، وغرغرينا تنتج عن موت الأنسجة، إلّا أنّ العلماء اكتشفوا فوائد صحيّة جَمّة من هذه السّموم، وأنتجوا منها عقاقير توقّف التّزيف الدّمويّ في أثناء الولادة، وتسرّع من انقباض الرّحم، وعودته إلى حجمه الطّبيعيّ، كما تُعالج الصّداع النّصفيّ، وهكذا اكتشف العلّم الحديث من السّموم النّافعات دواء.

فإذا ما وصلنا إلى الفائدة الغذائية للأنواع التي تُؤكَل من الفطريات، وَجَدْنَا أَنَّ فِطْرَ «عِش الغراب» يَتميّزُ بِقِيَمَتِهِ الغذائيةِ العاليةِ، فأكثرُ مِنْ نصفِ وزنه الجافُّ يَتكوّنُ مِنْ بروتيناتٍ حَقِيقِيَّةٍ كَامِلَةٍ تُشَبِّهُ بروتيناتِ اللحمِ والبيضِ واللَّبَنِ، بَلْ هِيَ أَفْضَلُ مِنْهَا لسهولةِ هَضْمِهَا، وَلمحتواها القليلِ مِنَ الدَّهونِ، وَخلوّها مِنَ (الكولسترول)، وَليسَ هَذَا فَقَطْ، بَلْ إِنَّ الفِطْرَ يُعْتَبَرُ صيدليّةً طَبِيعِيَّةً، فَهُوَ مَصْدَرٌ مُهِمٌّ لِلأملاحِ المَعْدِنِيَّةِ الَّتِي تُنَشِّطُ العَمَلِيَّاتِ الحَيَوِيَّةَ فِي الجِسمِ، وَتُحَسِّنُ الدَّوْرَةَ الدَّمَوِيَّةَ، وَيُسَاعِدُ مَحْتَوَاهَا مِنَ الحَدِيدِ عَلَى بِنَاءِ (الهيموجلوبين)، بِالإضافةِ إِلَى مَحْتَوَاهُ الغَنِيِّ مِنَ الفِيتَامِينَاتِ وَالْأَنْزِيمَاتِ الهَاضِمَةِ.

وما زَلْتُ فِي مَمْلَكَةِ الفُطْرِيَّاتِ أَسْرَارَ وَعَجَائِبَ كَثِيرَةٍ، فبَعْضُهَا يُضِيءُ فِي اللَّيْلِ بِضَوْءٍ أَخْضَرَ، يُمَكِّنُكَ أَنْ تَقْرَأَ تَحْتَهُ الصَّحِيفَةَ، فَإِذَا مَا انْتَهَيْتَ مِنَ القِرَاءَةِ، وَأَرَدْتَ العُودَةَ إِلَى بَيْتِكَ يُمَكِّنُكَ قَطْفُ حَبَّةٍ مِنْهَا لِتُضِيءَ لَكَ الطَّرِيقَ، ثُمَّ يُمَكِّنُكَ حِينَ تَصِلُ إِلَى الْبَيْتِ أَنْ تَطْبَخَ هَذِهِ الحَبَّةَ؛ فَتَكُونَ وَجِبَةً عَشاءٍ لَذِيذَةً، وَلَنْ يُكَلِّفَكَ ذَلِكَ دَفْعَ فَاتُورَةٍ لِلكهرباءِ أَوْ الغِذاءِ.

وَمَعَ ذَلِكَ فَمَا زَلْتُ مَمْلَكَةَ الفُطْرِيَّاتِ عَالَمًا مَجْهُولًا، فَنَحْنُ لَا نَعْرِفُ سِوَى 5.7% مِنْ جُمْلَةِ الفُطْرِيَّاتِ، وَإِنَّ مَا نَعْرِفُهُ عَنْ سَطْحِ المَرِيخِ، وَأَعْمَاقِ المَحِيطِ هُوَ أَكْثَرُ بِكَثِيرٍ مِمَّا نَعْرِفُهُ عَنْ هَذَا الكَائِنِ البَسِيطِ التَّرْكِيبِ، وَالْعَمِيقِ التَّأثيرِ، وَالوَاسِعِ الانْتِشَارِ، الَّذِي وَهَبَهُ اللَّهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- قُدْرَاتٍ لَا حَصَرَ لَهَا، فَاسْتَطَاعَ أَنْ يَجْعَلَ مِنْ أَفْرَادِهِ جُنُودًا تَغْزُو النَبَاتَاتِ جَمِيعَهَا عَلَى سَطْحِ الأَرْضِ، وَتَسْخَرُهَا لخدمَةِ البَشَرِيَّةِ، فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ.



تنمية التفكير محمد محمود العلي

يلعب التفكير دوراً مهماً في حياة الإنسان، وقد كرمه الله وميزه على مخلوقاته بالعقل الذي يعتبر من أبرز المكونات الشخصية للإنسان، وأداة التفكير التي لا بد من تنميتها لتقوم بوظيفتها على أكمل وجه؛ لأن تنمية التفكير لدى الإنسان وإصلاحه تعد أساساً في الإصلاح والتنمية.

فالتفكير ضرورة إنسانية وشرعية، بل فريضة إسلامية، حيث دعا القرآن الكريم الإنسان إلى التفكير في ملكوت الله، وجعله سمة لأصحاب العقول الراجحة، ووصفهم: (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٨٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلاً سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٨١﴾) (آل عمران).

وبدون التفكير يفقد الإنسان إنسانيته، ويصبح كما قال تعالى عن الذين امتلكوا أدوات السمع والبصر والفهم، ولكنهم عطلوها: (لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾). (الأعراف).

فالتفكير سلوك هادف، وهو غاية يمكن الوصول إليها عن طريق التعلم والتدريب. لهذا اهتمت الدول بتربية التفكير، وأصبح في مقدمة أولوياتها عبر مؤسساتها التعليمية والتدريبية والإدارات العامة والخاصة، بما يتيح للمتعلم التمكن من المتطلبات المعرفية والوجدانية لمواجهة تحديات العصر المتنامية، وذلك بأن يكون الاهتمام بتعليم المتعلم كيف يفكر؟ أكثر من الاهتمام بماذا يفكر؟

إن حاجة الإنسان إلى تلبية متطلبات العصر، ومواكبة التطورات العلمية والمعرفية التي تصعب الإحاطة بها تفرض عليه تطوير قدراته وتنميتها لاكتشاف المعلومات ومعالجتها وفهمها وتفسيرها ونقدها، وإن ثقافة التفكير تعلي من قيمة العقل وتحقيق قيمة التسامح الفكري والقبول بالآخر، وهذا بدوره يؤدي إلى خلق المواطن الواعي الذي لا ينحرف

بسهولة وراء تيارات هدامة رافضة للمجتمع وللعصر.

كما أن العولمة الثقافية وسهولة تعرض بعضهم للانبهار، ومن ثمّ الانسياق اللاعقلاني وراء أفكار وثقافات وأساليب حياة أخرى لمجرد كونها مختلفة، وهنا يأتي دور التفكير في غربلة هذه الأفكار والاتجاهات التي يتعرض لها، ويبنى موقفه منها على أسس واضحة ومثينة.

ويساعد التفكير على اتخاذ قرارات في مواقف أخلاقية مهمة تواجهنا في حياتنا الشخصية والعملية، وخاصة المواقف التي لا يوجد فيها نص قانوني محدد. وإن حاجة سوق العمل لنوعيات جديدة من الأفراد الذين يتسمون بالقدرة على تحليل المواقف التي يتعرضون لها بصورة نقدية وتقديم الحلول للمشكلات المتعددة التي يفرضها واقع الحياة المعاصرة، إضافة إلى اعتماد الاقتصاد العالمي على آليات السوق وتشجيع المبادرة الفردية التي تحتاج إلى قدرات خاصة تساعد على تحليل المعلومات الاقتصادية المتاحة وتوظيفها لمصلحة الفرد.

إن عولمة المعرفة والمشكلات والأحداث فرضت صناعة التفكير وإنتاج الأفكار على المجتمع العالمي، حتّى إن بعض الدول انتقلت من طور تنمية الثروات الباطنية إلى طور تنمية الثروات الذهنية والعقلية. يقول أحد المفكرين اليابانيين: «معظم دول العالم تعيش على ثروات تقع تحت أقدامها، وتنضب بمرور الزمن، أمّا نحن في اليابان فنعيش على ثروة فوق أرجلنا، تزداد، وتعطي بقدر ما نأخذ منها».

وما أحوجنا اليوم نحن العرب في ظل الظروف التي تعصف بنا إلى إستراتيجية وطنية في تنمية التفكير وبناء الإنسان الصالح، نستلهمها من إرثنا الحضاري مع الاستفادة من التجارب الرائدة وإعطائها الصبغة التي تعبّر عن هويتنا وحضارتنا، إستراتيجية قابلة للتطبيق، وقادرة على إعداد الإنسان المفكّر والفاعل في حقول العمل والإدارة داخلياً، والمؤثر إقليمياً، ودولياً، يعيد للأمة ألقها السالف.

تنطلق هذه الإستراتيجية من تنمية التفكير ومهاراته، وذلك بتوفير البيئة التعليمية والتدريبية، وتدريب مناهج التربية العلمية القادرة على إعداد الأفراد القادرين على التفكير السليم،

والإعداد النفسي للمتعلم كالثقة بالنفس والمرونة والانفتاح الذهني وحب التغيير الإيجابي، والاعتراف بالخطأ، والاستماع إلى وجهة نظر الآخرين، وتجنب التناقض والغموض والتواصل مع الآخرين. من جهة ثانية، الإدراك الحسي، بمعنى توجيه الحواس حسب الهدف، والاستماع الواعي، والملاحظة الدقيقة، والنظر للموضوع من زوايا مختلفة، وتخزين المعلومات، وتذكرها بطريقة منظمة. ومن جهة أخرى تجنب أخطاء التفكير، بالابتعاد عن التمرکز حول الذات، والقفز إلى النتائج، والابتعاد عن الأحكام الشخصية، والبحث عن حلول غير تقليدية. ولا بد من تطويع العقل للموقف من خلال التعرف إلى الغرض من التفكير، وتحديد نمط التفكير الملائم للموقف، والاستعداد لتغيير نمط التفكير إذا تغير الموقف، هذا من جانب تنمية المهارات لدى المتعلم.

أما تنمية التفكير في هذه الإستراتيجية فيجب أن تقوم مؤسساتنا التعليمية والتربوية والتدريبية بتأمين المعلم أو المدرب المؤهل والفعال؛ لأنه يمثل أهم عناصر نجاح تعليم التفكير، والذي ينبغي أن يكون ملماً بخصائص التفكير الفعال ومهاراته المتنوعة، ومتابعة التطورات التربوية والمناهج التدريبية.

كما أنه لا بد من توفير البيئة التعليمية الملائمة لإثارة التفكير الفعال لدى المتعلمين، كالقاعة الصفية، والوسائل التعليمية المتنوعة والحديثة، والمقاعد المريحة، والمراجع المتعددة، وطرائق التدريس والأنشطة التعليمية التي تتناسب والفروق الفردية، مع استخدام الحاسوب (والإنترنت).

وأخيراً التأكيد على استخدام التقويم وإجراءاته المتنوعة المتمركزة حول ضرورة قياس ما تعلمه الطالب، ولا يقتصر ذلك على الاختبارات الشفوية والتحريرية فقط، وإنما استخدام تقنيات أخرى كالملاحظة والسجلات التراكمية ومقاييس التقدير والمناقشة الجماعية والرسم البياني، والتقارير الفردية والجماعية.

كل ذلك لإعداد جيل قادر على التفكير ومواجهة المشكلات وتقديم الحلول، جيل يحافظ على هويته، ويؤثر في محيطه الإقليمي والعالمي، وينهض بالأمة لتضاهي الأمم المتقدمة.



تطوير الذات

محمد بن علي شيبان العامري

كلُّ ما حولنا يبحث عن مستقبله.. لا يريد أن يقف مكتوف اليدين إزاء حاضره مكبلاً بماضيه،
فالأرض الجرداء تكظم صبرها حتّى ينزل المطر عليها.. فإذا سالت وديانها بالأمطار، اهتزت
وربت وأنبتت من كل زوج بهيج.

الليلُ مهما بدا طويلاً ثقيلاً مدثراً بعباءته السميكة السوداء، فإنّ الكون يمّني النفس بنهار
مُرفرفٍ مشرقٍ عذبٍ نديٍّ جميلٍ تتفتح فيه أسارير الحياة والكائنات، فالغدُ المشرقُ مستقبلُ،
والخريف الذي تتعرّى أشجاره من خضرتها اليانعة، وثمارها الشهية، وأزهارها البهية، يبدو
للناظر كهياكل عظيمة ناشزة توحى بالموت والانهاء، لكنّ الحقائق والرياض والمزارع
والبساتين تؤمّل نفسها بمستقبلٍ ربيعيٍّ زاهرٍ مثمرٍ تعود فيه بسمة الحياة إلى كلّ هذا الموات،
والفلاح الذي يمضي أوقاته تحت الشمس الآهية، وتحت سياط البرد القارس، إنّما يدفعه
مستقبلُ موسمهِ العامر بالغلال، لتحمل هذا العذاب المستعذب، فالموسم مستقبله الضاحك
الغنيّ العطر..

والأمّ التي تنتظر تسعة أشهر بلياليها ونهاراتها وحملها الثقيل الذي يوهن بدنها، وما تعانيه
من مصاعب، يتجمّع مستقبلها كلّ في رؤية وليدها المنتظر النور، إنّها تولد بولادته.. ولولا
إيمانها بالمستقبل المحفوف بالأمل لما عانت متاعب الحمل، ولا كابدت آلام المخاض،
حتّى الدجاجة التي ترقد على بيضها أياماً معدودات يحدوها الأمل في أن ترى صيصانها
بألوانها الزاهية، تدرج من حولها مزققات.. وأنت تقضي عامّاً كاملاً على مقاعد الدراسة
لتتقدّم خطوة نحو المستقبل، وفي كلّ عام دراسيٍّ تتّجه صوب مستقبلك العلمي والعملية
شوطاً آخر..

هذا هو الكون، تطلّع إلى المستقبل كلّ، يغمره التفاؤل أنّ المؤمل - وإن كان غيباً - لكنّه
سيأتي حاملاً بين طياته السعد والرحمة والبركة، ولذا قيل: «تفاءلوا بالخير تجدوه». فكم
من مريضٍ نام ليلته وهو يمّني النفس بالشفاء.. وكم من صاحب همّ بات وهو يرجو أن
يطلع الصباح بما يفرّج همّه.. وكم من مشكلة عويصة داخ فيها صاحبها لكنّه لم يعدم الأمل

في إيجاد الحل المناسب لها. (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ ﴿٢﴾ وَنَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ)، (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ۖ ﴿١﴾) (من سورة الطلاق). وباطمئنان نقول: لولا التفكير بالمستقبل والتطلع نحوه لتوقفت عجلة الحياة عن الدوران، ولجفت ينباع الحركة في الكائنات، ولتحول الكون إلى مقبرة واسعة.

لولا الأمل ما وضعت والددة ولدها، ولا غرس غارس شجرًا، أي لم يفكر في المستقبل.. لا في مستقبل الولد الرضيع، ولا في مستقبل الشجرة الرضيعة التي لاتزال شتلة فتية. إن حياتنا هي صفحات ثلاث: ماضي وحاضر ومستقبل، فأما الماضي، فصفحة انطوت بخيرها وشرها ولم يبق منها إلا تبعاتُها وذكرايتها الحلوة والمرّة، وأما الحاضر، فهو صفحة الأيام التي نحن فيها بما يحيطها من يسر وعسر وآلام وأفراح وأعمال ومسؤوليات وتوفيق وفشل، وأما المستقبل، فصفحة أيامنا الآتية بما تحمل من آمال وتطلّعات، وفي الغالب ينظر كل منا إلى هذه الأيام نظرة أمل وتفاؤل واستبشار.

فبدون الأمل تصبح الحياة زنزانة ضيقة لا نطبق العيش فيها لولا فسحة الأمل، فالماضي كان ذات يوم حاضرًا، والحاضر بعد مدّة سيكون ماضيًا، وسيصبح المستقبل ذات يوم -حاضرًا، فالمسافة بيننا وبين غدنا ليست بعيدة، وبقدر ما يكون الماضي والحاضر مشرقين تكون صورة المستقبل، لكن ذلك -كما سنرى- ليس شرطًا ضروريًا، فقد تحدث في حياتنا نقلات نوعية تكسر فيها موانع السير، ونزيع عقبات الطريق لنحلّق نحو المستقبل بأجنحة الأمل! وقد تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن، فربّما جاء الغد وقد تراجعنا، وربّما جاء وقد واجهتنا ضاغطة غيرت الكثير من برامجنا ومشاريعنا على غير رغبة أو إرادة منا.

إن الشعوب التي خطت خطوات واسعة وواثقة في مضمار العلوم والفنون والاقتصاد والثقافة هي شعوب أولت مستقبلها اهتمامًا بالغًا، ولم تقنع بما هو عليه أبنائها من واقع ماديّ أو معنوي ناهض ومشرق، فاليابان نهضت من حطام وأطلال الدمار الشامل الذي لحق بها جرّاء الحرب العالمية الثانية، باحثة عن مستقبل باهر، فكان لها ما أرادت، رغم تواضع إمكاناتها المادية، والعالم اليوم -أيما أتجه- يعنى بالمستقبل في أبحاثه ودراساته ومؤسّساته التخصصية في هذا المجال الحيوي، ولقد سبق ديننا إلى ذلك في تأكيده على

